روايات



عالمية

بابيت

BABBITT





روايات عالمية



بقلم الكاتب الأمريكي الكبير

سنكلير لويس

الفصل الاول

- ١ -

فوق ضباب الصباح تسامت ابراج « زينيت » .. ابراج من الفولاذ والاسمنت .. راسخة كالجبال .. ملساء كأنها قضبان من الفضة .. ولم تكن قلاعا او كنائس .. وانما ابنية لمكاتب الاعمال .

ففي قلب المدينة تقوم الابنية الشاهقة . مكاتب البريد والتلغراف .. مصانع ذات مداخن ملوثة بالسواد .. عمارات لها لون طيني معتم .. ولكن على التلال وعند سفوحها تقوم بيوت جديدة مشرقة ذات ابراج نظيفة ـ كأنها بيوت للضحك والهدوء .

وعبرت الجسر سيارة ليموزين . لا تسمع لمحركها دويا .. لقد رجع هؤلاء القوم الذين يرتدون ثياب السهرة السوداء من حفلة مسرحية ضاعفت اقداح الشمبانيا من طابعها الفني . وتحت الجسر تمتد قضبان السكك الحديدية تلتمع على جانبيها الانوار الحمراء والخضراء .

ومن احدى ناطحات السحاب تتعالى الصاريات الكهربائية .. وفي الداخل تغلق الابواب ويتناهض عمال التلغراف للانصراف بعد ان امضوا ليلة تحدثوا فيها الى باريس والى بكين واتصلوا بمدن لا حصر لها في اقصى الدنيا .

واخذ ضباب الفجر يتبدد .. وحفل الطريق بجموع من العمال يحملون علبا فيها غذاؤهم .. خمسة آلاف عامل يروحون ويغدون منهمكين في العمل تحت سقف واحد .

ودوت صفافير المصانع .. كأنها انشودة موسيقية تحيي بزوغ الفجر ـ اغنية العمل الداوية في مدينة بنيت فيما يظهر للجبابرة والعمالقة .

- ٢ -

ولكن لم يكن لا عملاقا ولا جبارا ، ذلك الرجل الذى بدأ يستيقظ في بيت مشيد على الطراز الهولندى في حي المساكن المعروف باسم « فلورال هايتس » .

وكان اسمه « جورج ف . بابيت » . وكان في السادسة والاربعين من العمر . ولم يكن ممن يمارسون الصناعات . فلم يصنع لا زبدا ولا احذية . ولا ولم يقرض حتى الشعر . وانما تنحصر براعته في حث الناس على شراء بيوت بأثمان اعلى مما يستطيعون ان يدفعوا ! .

ولم يكن بدينا ، ولكنه يسرف في التهام الكميات الكبيره من الطعام .. وجنتاه مكتنزتان ويده الموضوعة على الاغطية تبدو بضة سمينة .

وهيئته توحي الى من يراه انه ناجح في الحياة ومتزوج الى اقصى حدود الزواج . ومجرد عن الخيال والطابع الروائي . وكان مخدعه ايضا مجردا من الصبغة الخيالية والطابع الروائي ، اذ كان يطل على حديقة صغيرة ليس فيها سوى الاعشاب وممر مرصوف بالاسمنت وجراج له سقف من الحديد .. ولكن على الرغم من هذا كله كان « بابيت » يحلم .. يحلم بفتاة خرافية .. لا تتراءى له الا في الاحلام .

منذ اعوام وهذه الفتاة الخرافية ترتاد احلامه . وفي الوقت الذي لا يرى فيه الناس الا جورج بابيت كانت هي ترى فيه الشباب الفياض المتدفق . وكانت ترقب قدومه منزوية في الظلام ، فاذا ما تملص من اسرته خف اليها مسرعا . وكم من مرة حاولت زوجته وحاول اصدقاؤه ان يلحقوا به ولكنه يفلت منهم هاربا والفتاة الى جواره فينطرحان معا على سفوح التلال المظلمة .

وفتاة احلامه هيفاء القوام مشرقة الوجه شديدة اللهفة والهيام . ! وكم هتفت وهي تبكي انه مرح وشجاع أو انها ستقيم في انتظاره ثم يرحلان الى ..

وايقظته من نومه قلقلة مركبات اللبن .

وتوجع « بابيت » وتأوه .. وحاول ان يرتد الى حلمه .. ولكنه لم ير منها الاوجها يخفيه الضباب .. واصطفق باب الطابق الارضي .. ونبح كلب في البناء المجاور . ونهض بابيت وهو يتنهد ومعدته صاخبة هائجة ولما وقف يتمطى في الغرفة سمع دوى سيارة « فورد » .. وبابيت نفسه خبير في السيارات ولوع بها . فأخذ يسب في سره سائق السيارة ويلعنه وخيل اليه أن دوى المحرك المعطوب تأوهات حزينة يطلقها مريض لا رجاء في شفائه . وظل في مكانه يرتعد غضبا ولم تهدأ ثائرته الا حين استدل من صوت المحرك أن العطب زال . وان السيارة انطلقت في طريقها .

وارسل بصره من النافذة وجعل يمني نفسه بيوم سعيد مليء بالمغامرات . وقد كان هذا دأبه دائما منذ كان صبيا .

ولم يرجع الى الحقيقة الاليمة الا حين دوى رنين جرس المنبه مؤذنا بأن الساعة قد بلغت السابعة والثلث .

كان هذا المنبه من احدث طراز اخرجته الاسواق . فهو مزود بقرص طليت ارقامه بالفسفور . وبجرس يدق على انغام اجراس الكنائس وبديك يصيح عند الفجر .. الى غير ذلك من الاجهزة الحديثة . وكان بابيت فخورا ومزهوا بأنه يستيقظ على منبه من هذا الطراز .

واعترف فى حنق ان لا مهرب من الحقيقة . فلعن مهنته ولعن اسرته ولعن نفسه لانه لعنهم .

فى مساء اليوم السابق حتى منتصف الليل عند فيرجيل جانش يلعب القمار . ومن عادته أن يستيقظ هائج الاعصاب عقب السهرات التى من هذا القبيل فلا تهدأ ثورته الا اذا التهم فطوره . ولعل مرجع ذلك الى اقداح البيرة التى تناولها والسجائر الضخمة التى اغرته البيرة بتدخينها .. ولعل مرجع ذلك الى استيائه النزول عن حريته كرجل من رجال المجتمع والعودة الى نطاق ضيق خانق لا يرى فيه الا الزوجات والسكرتيرات ونصائح لا تنتهى تحضه على الاقلاع عن التدخين .

وزمجر ساخطا وجلس على حافة الفراش ونظر فى حسرة الى البطانية : انها عنده رمز الحرية والبطولة .. ! كان فى نيته ان يقوم برحلة فى الخلاء فاشترى البطانية ولم يقم بالرحلة .. انها عنده رمز التكاسل المحبوب والسخط المحبوب .

ونظر من النافذة واخذت عينه الجراج .. وردد جملة المعهودة الجملة التى يرددها فى العام ٣٦٥ مرة « يجب ان اهدم هذا الجراج واشيد مكانه جراج على الطراز الحديث . لعمرى انه الشىء الوحيد العتيق فى المنزل .. ! »

وقصد الى الحمام ..

وكان الحمام مشيدا على احدث طراز ومزودا بكل الاجهزة والادوات العصرية . ففيه اجهزة للتدليك وللتجفيف ولكى الشعر .. الى آخره . ولكن بابيت الذى يعبد الاختراعات الحديثة لم يكن راضيا مسرورا : كانت تفوح فى الحمام رائحة دواء اسنان .. تبا لفيرونا .. ! لقد خالفت امرى مرة اخرى .. ! بدلا من أن تستعمل الليليدول كما نبهت عليها اكثر من مرة عادت تستعمل معجونا له رائحة خانقة .. !

كانت سجادة المطاط المبسوطة الى جوار حوض الاستحمام مبللة بالماء وكذلك كانت الارضية . « من عادة ابنته فيرونا ان

يستحم فى ساعة مبكرة » وزلقت قدمه على السجادة فوقع فى حوض الاستحمام وقال : « تبا .. ! » وفى غضب نتش انبوبة صابون الحلاقة . وفى غضب اجرى الشفرة على لحيته وكانت ثالمة فضايقته وجرحت ذقنه فقال :

ـ تبا .. ! أوه .. تبا .. !

وبحث فى دولاب الصيدلية عن لفافة من الشفرات الجديدة وخطر له الخاطر القديم المعهود : « يحسن بى ان اشترى جهازا لشحذ الشفرات فهذا أدعى الى الاقتصاد » . ولما اكتشف اللفافة بعد جهد مخبأة خلف علبة بيكربونات الصودا سخط على زوجته اذ وضعتها هناك . وسخط على نفسه لانه لم يردد كلمته المأثورة : « تبا .. ! » ولكنه نطق بها على الفور عقب ذلك عندما أعيته ازالة الشمع المدهونة به الشفرة الجديدة .

وجابهته المشكلة التى لا تنفك تجابهه دون ان يجد لها حلا : ماذا ينبغى ان يصنع بالشفرة القديمة .. ؟ وكيف يتخلص منها .. ؟ ولقاها فوق سقف الدولاب وفى نيته أن يأخذها فى يوم من الايام مع الخمسين او الستين شفرة التى القاها من قبل وفى ذهنه نفس النية .

وفرغ من الحلاقة وقد اشتد به الصداع لاشتداد سخطه ولاشتداد جوعه . ولما اراد أن يأخذ المنشفة الفى المناشف جميعها مبتلة يقطر منها الماء . كلها مبتلة لا تصلح لتجفيف الوجه . وحتى منشفته التى تحمل الحرف الاول من اسمه كانت مبتلة . وهنا اقدم جورج بابيت على عمل جنونى . عمل لا يقدم عليه الا المتمرد اليائس : مسح وجهه بمنشفة الضيوف .. !

كانت منشفة مطرزة موشاة بالحرير تعلق فى الحمام دائما لتقنع أهل البيت انهم منتمون الى الطبقات الاجتماعية الرفيعة .. ولم يستعملها احد من قبل . وحتى الضيوف لم يجسروا على استعمالها . بل كانوا يؤثرون عليها وكنا صغيرا من اقرب منشفة من المناشف العادية .

وكانت ثورة الغضب قلا ملأت نفسه :

ـ طبعا .. يستعملون المناشف جميعها .. وحتى منشفتى الحقيرة يأبون أن يتركوها لى .. يبلون جميع المناشف بالماء الذى يقطر من وجوههم القذرة ولا يضعون لاجلى منشفة جافة .. طبعا اننى الحمار الوحيد فى هذا المنزل .. ! ولكنى فى حاجة الى منشفة .. وسأحصل على المنشفة مهما كان .. اننى الشخص الوحيد فى هذا المنزل الحقير الذى ينال احقر قدر من الاحترام والاعتبار ..

ليس هناك من يهتم بي .. وتصور أن هناك من سيستحم بعدى في هذا الحمام الحقير .. وتصور ..

وانتقل الى الحوض وفتح الصنبور الى نهايته وجعل يصغى الى خرير الماء طربا مأخوذا وقد تمثل في هذا الصوت زمجرة رجل ينفس عن صدره غضبته .

وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخلت زوجته . ونظرت اليه في دهشة وقالت :

ـ ماذا تصنع ياعزيزى جورجى .؟ اتنوى ان تغسل المناشف ولكن لاضرورة لان تغسلها .. جورجى .. انك لم تستعمل منشفة الضيوف .؟ قل انك لم تستعملها .!

ولكن التاريخ لم يسجل انه القى اليها جوابا .

لا .. بل لم يجرؤ حتى على ان يرفع بصره اليها ..

ـ ٤ ـ

كانت ميزابابيت « مسز جورج ف. بابيت » ناضجة الجسم على شيء من البدانة . وحول فمها خطوط غائرة وعنقها مسترخية مترهلة .. ولكن الشيء الذى يدل على انها تجاوزت طور الشباب انها لا تتكلم شيئا امام زوجها . ولم يكن يزعجها انها لا تتكلم .. وكانت في هذه اللحظة مرتدية جاكتة صغيرة وكورسيه بارزا عند بطنها دون ان تبالى ببروزه لقد اعتادت الحياة الزوجية المضطردة الباردة اعتيادا عميقا حتى صارت في انعدام جاذبيتها وانوثتها اشبه بالراهبات . ـ

وهى امرأة نبيلة الخلق وديعة الطباع شديدة العطف .ولكن عدا ابنتها الصغيرة تينكا التى تبلغ من العمر عشر سنوات ـ لم يكن في الدار من يحفل بها أو من يشعر بانها على قيد الحياة .

وبعد ان القت محاضرة طويلة عن الوجوه التى ينبغى أن تستعمل فيها المناشف وعن الفرق بين مناشف الضيوف ومناشف افراد الاسرة . اظهرت عطفها على بابيت بمناسبة صداعه . وقد حرصت على ان تقول ان هذا الصداع ناشيء عن افراطه في شرب البيرة . وكذلك حرص بابيت على ان يذكرها بانه بحث طويلا عن قميصه وانه وجده في غير موضعه منزويا وسط البيجامات .

ولكنه كان ظريفا عندما انتقل الحديث الى البذلة الرمادية :

ـ ما رأيك يا ميرا ؟ . هل ألبس البذلة الرمادية يوما آخر ؟

ـ انها تبدو جميلة عليك .

ــ أعرف ذلك ولكنها فى حاجة الى الكى .
ــ يجوز .. ربما كانت حقيقة فى حاجة الى الكى .
ــ ولكن لا داعو الى كيها اليوم .
ــ اظن ذلك .
ــ والجاكتة ليست فى حاجة الى الكى على الاطلاق . ومن الحماقة ان تكون البذلة كلها .
ــ هذا صحيح .
ــ ولكن البنطلون فى حاجة الى الكى .. انظرى مافيه من تثن وتغضن .
ــ هذا صحيح .. ولكن لم لا ترتدى باجورجى الجاكتة الرمادية مع البنطلون الازرق ..؟
ــ ياالهى ..! ارايتنى يوما ارتدى جاكتة وبنطلونا من لونين مختلفين ! . اتحسبيننى بائعا فى متجر ؟ .

ــ اذن لماذا لا ترتدى البذلة الرمادية الغامقة لترسل هذا البنطلون الى الكى .؟

واستطاع بابيت ان يتغلب على باقى عقبات الثياب بنفس الهدوء والعزم وكانت اول عقبة ذللها البحث عن زر القميص عندما افلت من بين أصابعه . وكانت آخر عقبة انقطاع رباط الحذاء وهو يشده فى عنف ..

ولما وضع على عينيه نظارته ذات الاسلاك الذهبية اكتسب وجهه طابع رجل الاعمال الذى اعتاد ان يصدر الاوامر الى الكتبة والموظفين والذى اعتاد ان يدير اعماله على نمط نظرى .

وامضى وقتا غير قصير يفاضل بين ربطتين من رباطات العنق . وجعل يذكر لزوجته مزايا هذه ومزايا تلك . وايهما اكثر انسجاما مع البذلة الرمادية الغامقة . وزوجته لاهية عنه منصرفة عن حديثه الى تثبيت جاكتتها فى قميصها بدبوس انجليزى .

اما الحادث التاريخى العظيم فكان نقل محتويات البذلة الرمادية الفاتحة الى البذلة الرمادية الغامقة . كان شديد العناية بنقل هذه المحتويات وكلما افرغ جيبا من الجيوب عاد يفتشه من جديد خشية أن يكون قد نسى فيه شيئا او ان يكون فى الجيب مخبأ سرى .

ومن بين هذه المحتويات قلم من الابنوس وقلم رصاص من الفضة تنقصه الرصاصات دائما . وفى سلسلة ساعته حلقة . وفى الحلقة مبراة من الذهب ومقطع فضى لقطع اطراف السجائر وسبعة

مفاتيح لم يستعمل منها في حياته الا مفتاحين منها . وفي الطرف الآخر من السلسلة ساعة يمكن ان توصف في بعض الاحيان انها ساعة جيدة . وفي السلسلة ايضا شارة تثبت انه عضو في جمعية حماية الوعول

ومن بين محتويات جيوبه مفكرته العجيبة ـ وهي مفكرة من الطراز الحديث ذي الاوراق المنفصلة التي يسهل نزع مااستغنى عنه منها ..

ولكنها كانت لا تزال تتضمن عناوين اشخاص نسيهم .وارقام حوالات بريدية وصلت اصحابها منذ شهور مضت . وطوابع بريد انقضت المدة المحدودة لاستعمالها ومذكرات يلفت بها نفسه الى ضرورة عمل اشياء لم يكن في نيته ان يعملها ولم يعملها فعلا .وفي احدى الصفحات حروف هذا بيانها :

« د س . د . ك . م .س.س.د.ف.ب. »

وقد رمز بهذه الحروف الى شيء معين حتى لا يعرف سواه هذا الشيء اذا وقعت المفكرة في يد زوجته مثلا . وكانت النتيجة ان زوجته لم تعرف هذا الشيء وكذلك لم يعرفه جورج بابيت !

ولكن لم تكن بين محتويات جيوبه علبة سجائر ، فما اهداه احد علبة وما فكر في شرائها . واخيرا نقل الى جيب بذلته شعار عضويته في نادي بوستر . وكان فخورا بهذه العضوية اذ تجمع بينه وبين نفر من عظام الرجال ؛ هذه العضوية في رأيه هي وسام الشرف .

وفي اثناء ارتدائه ثيابه وبين مشاكل الثياب افضى الى زوجته ببعض همومه قائلا :

ـ اني احس اليوم خمولا واظنني اسرفت في تناول الطعام بالامس لا ينبغي ان تصنعي فطائر الموز .

ـ ولكنك انت الذي سألتني ان اصنعها لك خصيصا .

ـ اعرف ذلك ولكن على المرء ان يعنى بجهازه الهضمي عندما يتجاوز الاربعين . قليلون هم الذين يعنون بمسائل الغذاء في مثل هذه السن .طبعا يشتهي المرء عقب العمل المضني ان يتناول طعاما ثقيلا غير ان من الخير لنا كلينا ان نقنع بالاطعمة الخفيفة .

ـ ولكنك تعلم ياجورجي اني لا اقدم اليك في البيت الا اطعمة خفيفة .

ـ اتريدين ان تقولي اني انا الذي افسد معدتي بالاطعمة التي اتناولها من الخارج ؟ هذا صحيح اولكنك كنت جديرة بأن تحتذي

حلوى لو انك تذوقت مرة الاطعمة الشـــهية التى يقدمها طهاة النادى الرياضى ! انى اشعر بخمول اليوم .. أحس هنا الما حاداً فى الجانب الايسر .. ولكنه ليس المصران الاعور ؟ اليس كذلك ؟ولقد شعرت بألم بالامس فى معدتى . نعم هنا ياالهى ! كم الساعة الآن لماذا لا تكثرين من البرقوق المجفف على مائدة الفطور ؟

ـ ولكنك أبيت أن تأكل البرقوق فى آخر مرة قدمته اليك .

ـ الواقع انى لا اميل اليه . ولكن ينبغى ان آكل منه على اية حال ! لم اقل لك انه .. بالامس كنت أقول لغيرج جانثى ان على المرء اذا ما تجاوز الأربعين ان يعنى بجهازه الهضمى وان ..

ـ اتنوى ان تدعو آل جانثى الى العشاء فى الاسبوع المقبل ؟

ـ طبعـا .

ـ اسمع ياجورج.. ينبغى ان ترتدى فى المادبة جاكتة العشاء.

ـ ولم أجشم نفسى هذه المشقة مادام سواى لن يرتديها ؟

ـ بل سيرتدونها جميعا .. انسيت كيف كان موقفك حرجا فى مأدبة ليتل فيلد حين ارتدى جميع المدعوين جاكتة العشاء ولم يظهر فى ثيابه العادية احد سواك ؟

ـ لم يكن موقفى حرجا .! انهم جميعا يعرفون أن لدى من المال ما يمكننى من شراء جاكتة للعشاء ! ولكننى لا احب انارتديها لاتفادى هذه المضايقة .. ولكنك طبعا امرأة وانى للمرأة ان تفهم انه لا اشق على الرجل وهو يضنى نفسه بالعمل طيلة النهار من أن يبدل ثوبه فى المساء لكى يجلس مع جماعة من البلهاء والحمقى الف أن يراهم فى ثيابهم العادية ؟ .

ولكنى اعلم انك تفضل ارتداء جاكتة العشاء . ومنذ ايام شكرتنى لانى الححت عليك بارتدائها . وقلت انك تشعر وانت تلبسها بارتفاع قدرك . ايرضيك ان تنقدك لوسيل ماك كيلفى اذا راتك فى ثيابك العادية .؟

ـ تبا للوسيل ماك كيلفى .! ان أهلها من طبقة وضيعة منحطة على الرغم من ان زوجها واباها من طبقة الملايين .! يظهر ياعزيزتى انك تريدين ان تذكرينى بأنك تنحدرين من أسرة رفيعة .. اذن فدعينى اذكرك بان جدك المحترم مســـتر هنرى لم يكن يرتدى جاكتة للعشاء . بل كان يسميها الجاكتة القبيحة الشكل . ذات الذيل الشبيه بذيول القرود ! . وكان يأبى ان يرتديها طواعية .. وفى المرة الوحيدة التى استطعم أن تلبسوه فيها جاكتة للعشــاء اضطررتم الى تخديره بالكلوروفورم ! .

ـ لا تكن سليط اللسان ياجورج .
ـ انى لست سليط اللسان . ولكنك أصبحت كابنتك فيرونا ولوعة باثارة الجلبة .. لقد أصبحت لا تطاق منذ تخرجت من الجامعة انها لا تعرف ماذا تريد . اما انا فاعرف ماذا تريد .! انها تريد ان تتزوج رجلا من أصحاب الملايين وتقيم في اوربا وفي الوقت ذاته تقيم في امريكا وتصبح علما من اعلام الحياة الاجتماعية او رئيسة لمجموعة من الجمعيات الخيرية .! ياالهى .! ليس في الاسرة شخص يعول عليه .! ان تيد ايضا ليس خيرا منها .؟ يريد ان يذهب الى الجامعة .. ولا يريد ان يذهب الى الجامعة .. ولعل تينكا هى الوحيدة التى تعرف ما تريد ليت شعرى .. كيف رزقنى الله بهؤلاء الاطفال المتذبذبين المترددين ؟ .. انى طبعا لم اقرا شكسبير .. ولكنى اعرف كيف اتصرف في المسائل التى تعرض على .. ليتك تشاهديننى وانا ادير عملى في المكتب .. وهل بلغتك ما ترى آخر نزوة لهذا الطائش تيد .؟ انه يريد ان يصبح ممثلا سينمائيا ! .. مع انى اخبرته الف مرة انى سالقنه أسرار عملى عندما يتخرج من الجامعة . ما هذا التباطؤ ..؟ لقد دقت الخادمة الجرس تدعونا الى الطعام منذ ثلاث دقائق . فما الداعى الى وقوفك ..؟
ـ كنت انصت الى حديثك .
ـ وهل من الضرورى أن تنصتى .؟ ومع ذلك هيا بنا .!

الفصل الثانى

ـ ١ ـ

كان مخدع بابيت وزوجته مؤثثا بافخر الرياش . ففى صدر الغرفة يقوم فراش كبير تعلوه الاغطية الزرقاء . وعند قوائمه سجادة زرقاء . وفي ركن من الغرفة منضدة التواليت وقد صفت فوقها ادوات الزينة والأمشاط والفرش الفضية . وعلى مقربة من الفراش طاولة صغيرة تنتظم الكتب رفوفها . وعلى الطاولة الملاصقة للفراش كتاب لا يدرى أحد موضوعة أو عنوانه لأنه لم يفتح ولا مرة واحدة. ولم يقرأ فيه بابيت ولا زوجته سطراواحدا أما المراتب فكانت من الطراز العصرى الشديد الصلابة .

وتشرف النوافذ على حديقة البيت . وتنسدل فوقها سجف من القطيفة الغالية مزودة باجهزة وحبال تجعل طيها أو نشرها على غاية من السهولة .

وقصارى القول ان هذا المخدع يمكن ان يعتبر مثلا اعلى بين المخادع وعيبة الوحيد انه لا يمت بصلة الى الزوجين .

فاذا كان الزوجان قد عاشا فى هذا المخدع وتبادلا فيه الحب او قرآ الروايات المثيرة فى جوف الليل .. او تعانقا فى تكاسل واسترخاء فى صبيحة ايام الآحاد ــ اذا كان قد وقع شيء من هذا القبيل فليس فى المخدع شيء ينم عليه .. انه شبيه بمخدع فاخر فى فندق كبير . ويخيل الى الانسان ان الخادمة لا تلبث ان تدخل فتنظفه وتهيئه لنزلين سيقضيان فيه الليل ثم يمضيان دون ان يفكرا فيما مضى لحظة واحدة .!

والغريب ان فى كل بيت من بيوت « فلورال هايتس » مخدع شبيه بهذا .

والبيت مشيد حديثا . منذ خمسة اعوام .. وكل غرفة من غرفه تطالعك بنفس الاسلوب فى التاثيث فهى مليئة بالرياش الفاخرة النفيســـة وبالاســانات الحديثة الطراز .. وباحدث ماالخرجته الاسواق من اجهزة واختراعات .. وحلت الاضاءة الكهربائية محل الشموع والقناديل واختفت مدافىء الفحم وحلت محلها المدافىء الكهربائية . وفى كل غرفة « باريزة » او اكثر لايصـــال التيار الكهربائى الى المكتبة . او الى المروحة الكهربائية . وفى قاعةالطعام ثلاجة كهربائية .

المفروض فى البيت ان يكون مكانا يلقى فيه المرء ما ينشد من حنان وهدوء وسلام ..البيت مكان يصيب فيه المرء الراحةوالهناء بعد يوم يقضى فى عمل مضن .

ولكن عيب منزل بابيت انه لم يكن « بيتا » .. !

― ٢ ―

كانت فيرونا فى الثـانية والعشرين من العمر تخرجت حديثا من جامعة برينمور وذهنها محشو بوساوس عن الواجب والجنس والدين والفستان الرمادى الذى كانت ترتديه فى ذلك الصباح .

اما تيد ــ اى تيودور روزفلت بابيت ــ ففى السابعة عشرة من العمر ويمتاز بخيال خصيب .

وتنكا ــ اى كاترين ــ لازالت صبية فى العاشرة يعلوراســها شعر احمر .

وعندما دخل بابيت قاعة الطعام على اسرته كتم همومه وطوى

قلبه على غضبته اذ لم يكن يحب ان يظهر بمظهر الطاغية ولو انه احب لما استطاع وما كان سخطه الا نرتره لا معنى لها ولا اهمية.

وعندما احتسى قدح القهوة اطمانت معدته وطابت وتبددت همومه ولم يتذمر او يشكو شيئا .. ولكن فيرونا بدات تثير غيظه وتهيج اعصابه فرجعت اليه شكوكه عن الحياة والاسرة والعمل .

منذ ستة شهور التحقت فيرونا بشركة جرونسبرج للجلود واشتغلت كاتبة وهى تطمع فى ان تصبح فى يوم من الايام سكرتيرة لمستر جرونسبرج .. وقال بابيت محبذا :

- بهذه الطريقة تستطيعين ان تستغلى شهادتك التى حصلت عليها من الجامعة .

ولكن فيرونا بدات الآن تحدثه بقولها :

- ابى .. كنت اتحدث مع صديق لى يعمل فى مكتب ادارة الجمعية الخيرية .. ما اجمل الأطفال الذين يترددون على مراكز اللبن هناك .. ويخيل الى انه ينبغى ان اساهم فى هذا العمل النبيل

- وما معنى هذه المساهمة ..؟ وقيت سكرتيرة لمستر جرونسبرج وكففت عن التردد على المراقص امكنك ان تصيبى فى الاسبوع اربعين دولارا . وهذا فيما اعتقد العمل النبيل الذى يجب أن تسعى اليه .

- هذا صحيح .. ولكنى أتمنى ان اعمل فى أحد مكاتب الجمعيات الخيرية .. ليتنى استطيع ان استاجر بيتا اقدم فيه الطعام والفراش مجانا للفقراء .. اوليتنى ..

فصاح مستر بابيت قائلا :

- اسمعى .. ان هذه الافكار التى ترددينها سخافات لا معنى لها . انها بادره من بوادر الاشتراكية .. اذا ايقن الانسان انه من يجد من الحمقى من يقدم اليه الطعام والمال والثياب فثقى انه سيعرف كيف يجد لنفسه عملا وسيعرف كيف ينتج وينتج وينتج ..! ان البلاد فى حاجة الى الانتاج لا الى اولئك الذين ينادون بمبادىء جنونية تعلم العامل الكسل والخمول وتبث فى اذهان الاطفال ما يرفعهم فوق مستوى البيئة التى يعيشون فيها . واولى بك ان تكرسى وقتك للعمل بدلا من التفكير فى هذه السخافات .! عندما كنت شابا . ما هذا يا ميرا .؟ لماذا تقطعتم التوست قطعا صغيرة لا تكاد تمسكها اليد .؟ وفضلا عن ذلك فهى باردة .!

وكان تيد بابيت فى خلال حديث ابيه يحاول ان يتكلم فاغتنم الفرصة وقال : اسمعى يا رون . انى نيتك ان ...

فقاطعته فيرونا فى حدة :
ـ نيد ! .. لا تقاطعنا اذا رأيتنا منهمكين فى الحديث عن المسائل الخطيرة . فقال نيد متهكما :
ـ مذ اخرجوك من الجامعة وانت لا تملين الحديث عما يجب وعما لا يجب .. أفى نيتك أن .. انى فى حاجة الى السيارة الليلة
فقال بابيت مزمجرا :
ـ حقا ! انى انا نفسى قد احتاج اليها !
فقاطعته فيرونا بقولها :
ـ حقا ايها السيد المتانق ! انى انا التى ساحتاج اليها
فاعولت تيند قائلة :
ـ ابى .. الم تعدنى بأن تذهب بى فى السيارة الى روزديل ؟
وهكذا زمجروا جميعا وصخبوا وضجوا . ولكن صوت فيرونا علا على اصواتهم جميعا وهى تقول :
ـ نيد ! انك سخيف فى طلبك السيارة !
فاجابها فى هدوء :
ـ أما انت فلست سخيفة ! . ستخرجين بها عقب العشاء وتتركينها طول الليل فى انتظارك امام بيت ليس فيه الا نساء سخيفات يصغين الى محاضراتك التافهة من الآداب والفنون وعن اصحاب الملايين الذين ستتزوجين بهم اذا وقع المستحيل وتقدموا لخطوبتك ؟
ـ يجب ان يمنعك ابى من ركوب السيارة انت واصدقاءك من الصبية الاغرار الذين يقودون السيارات كالمجانين .
ـ انك تقولين هذا لانك تخافين السيارات الى درجة تجعلك تربطين الفرامل وانت ترتقين التل !
فقالت فى غضب :
ـ انا اربط الفرامل وانا ارتقى التل ؟ هذا كذب ! وانت الذى لا تفتأ تتحدث الى اونيس ليتل فيلد عن براعتك فى الميكانيكيات وتؤكد لها ان البطارية هى التى تغذى المولد الكهربائى بالكهرباء !
ـ انا ! انى واثق انك لا تستطيعين ان تفرقى بين المولد الكهربائى وبين عجلة السيارة !
فصاح بابيت قائلا :
ـ هذا يكفى اليوم !
واشعل سيجارته الاولى واخذ يتصفح جريدة ادفوكيت تايمز وقال نيد مستسلما :

ـ بصراحة يا رون انى لست فى حاجة الى السيارة العتيقة . ولكنى وعدت وانا كاره بعض الفتيات فى فصلى بان اذهب بهن الى معهد الغناء ولا بد لى من البر بوعودى الاجتماعية .

ـ ظريف جـدا ! .. وعود اجتماعية وانت لا تزال طالبا فى المدرسة .!

ـ انها ارقى مدرسه فى امريكا .. ان فيها اثنين سيصبحان من اصحاب الملايين بعد وفاة والديهما .. اسمع يا ابى .. انى اريد ان تكون لى سيارة خاصة كالكثيرين من زملائى ! .

فكاد بابيت ان يهب واقفا وقال :

ـ سيارة خاصة ..! الا تريد يختا ايضا وطائرة ..؟ يا الهى..! ترسب فى امتحان اللغة اللاتينية وتسألنى ان ابتاع لك سيارة خاصة ..! اظنك تريدها مكافأة لك على ما تبذل من جهد فى الذهاب مع اونيس ليتل فيلد الى السينما ..! اذا ظننت ان ...

وبعد مفاوضات دبلوماسية تم التفاهم بين فيرونا وتيد على تبادل السيارة فى تلك الليلة فيستعملها كل منهما شطرا من الوقت. ولم يشركا معهما الاب فى هذا الاتفاق مع انه كان فى اشد الحاجة الى السيارة لينجز احدى صفقاته .

ووقف تيد امام المرآة يطالع هيئته فى اعجاب شديد . ولا عجب فى هذا وبذلته مفصلة على احدث طراز وربطة عنقه آخر زى استورده التجار من اوروبا . وقال مخاطبا فيرونا رغبة منه فى انتزاع ثنائها :

ـ اظن ان هذه الربطة قبيحة الشكل ..!

فصاح ابوه صاخبا :

ـ انها اقبح ما وقعت عليه عينى ..! واذا كنت معجبا بنفسك فاعلم انه مما يزيدك جمالا ان تزيل آثار البيض العالقة بشفتيك.!

وقهقهت فيرونا ضاحكة وقد شعرت بالنصر العظيم الذى احرزته فى هذه الحرب الكبرى ـ حرب الاسرة .

ونظر اليها تيد فى يأس ثم استدار الى تينكا وصرخ فيها :

ـ بالله عليك لا تفرغى اناء السكر كله فى قدح الشاى ..!

ولما انصرف فيرونا وتيد وتينكا التفت بابيت الى زوجته وزمجر قائلا :

ـ عال ..! حقا انها اسرة بديعة ..! صحيح انى فى بعض الاحيان ابدو شرسا جافا ولكن صدقينى اذا قلت لك انى لا اطيق سلوكهم هذا . يخيل الى احيانا ان الحل الوحيد هو ان اهرب الى مكان اجد فيه السلام والهدوء ... ابعد ان ارهقت نفسى بالعمل لاعلمهم

واوجد لهم مكانا فى الحياة لا يقع بصرى عليهم الا رأيتهم يزمجرون ويتشاحنون كالضباع ..!
فى هذه الصحيفة خبر عن ... الم تقرأى الصحيفة بعد ..؟
ـ كلا يا عزيزى ..
وفى خلال الثلاث والعشرين سنة التى انقضت على زواجهما لم تقرأ مسز بابيت الصحيفة قبل زوجها الا سبعا وستين مرة .
ـ ان الدنيا ملأى بالانقلابات والثورات ... ثورة فى الجنوب .. وهياج فى الوسط .. وقد أقر البرلمان الامريكى طائفة من القوانين تعد نصرا للاشتراكيين .. وفى نيويورك اضرب عمال المصاعد عن العمل وحل طلبة الجامعة مكانهم .. وعقد اجتماع فى برمنجهام طالب فيه الحاضرون بابعاد ذلك المهيج ديفاليرا ..، صدقينى ان المانيا هى التى تحرض هؤلاء المهيجين وتزودهم بالمال .. ومن سوء الحظ اننا لا نستطيع أن نتدخل .. وهناك اشاعة فى روسيا بأن لينين قد مات . ليت شعرى ما الذى يقعد حكومتنا عن اعلان الحرب على الروسيا وطرد البلاشفة من هذه البلاد قبل أن يفسدوها ؟ ..
فقالت مسز بابيت مؤمنة : ـ هذا واجب .
ـ وقد انتخب أحد الوعاظ عمدة ... فما رأيك فى هذا ..؟
ـ هيه ..! عال ..!
وحاول بابيت ان يبدى رأيه فى الأمر ولكنه لم يجد ـ لا بصفته جمهوريا ولا بصفته من حماة الوعود ولا بصفته من سماسرة العقارات ولا بصفته من نصار الدين ـ لم يجد شيئا يستند اليه فى الطعن على انتخاب الوعاظ عمدا . فاكتفى بأن زمجر ولم يقل شيئا ..! وشاركته مسز بابيت زمجرته على سبيل المجاملة .
ولما ألقى اليها بالصحيفة تصفحت قسم الاخبار الاجتماعية واعلانات المتاجر وقالت :
ـ ان شارلى ماك كيلفى لا يزال مستمرا على اقامة المآدب والحفلات
فتناول منها زوجها الصحيفة ونظر فى الفقرة التى اشارت اليها زوجه وقال
ـ فلنر ما تقوله هذه المحررة المخرفة .
ويتلخص الخبر فى ان مستر ومسز شارل ماك كيلفى اقاما بالامس حفلة راقصة تكريما لضيفتهما مس ... من واشنجتون وان القاعة الكبرى غصت بالمدعوين وان البيت كان شعلة من الانوار المتالقة .. الى آخره .. الى آخره ..

وزمجر بابيت قائلا :

ـ ان شارل ماك كيلفى رجل جسور . وعندما كنا فى الجامعة معا كان شديد الطموح . ولقد استطاع ان يربح مليون دولار من المقاولات. وكان شريفا فى معاملاته فلم يشتر من ذمم رجال الدولة الا القدر الذى يكفى لتحقيق اغراضه . ومنزله جميل وان كان لا يساوى التسعين الف دولار التى يزعم انه انفقها على تشييده ولكن صدقينى ان ادعاء ماك كيلفى وأمثاله يجعلنى اشمئز ويملأ نفسى غيظا ..!

وقالت مسز بابيت فى تردد :

ـ بودى ان ارى بيته من الداخل .. لا شك انه جميل ..

ـ لقد رايته انا من الداخل . ليس فيه شيء من الجمال ! .. وما كنت لاذهب اليه لولا ان دعتنى مقتضيات العمل .. ان نفسى تغثى عندما استمع الى هؤلاء المدعين .. لقد كان فى وسعى أن اربح اضعاف ما ربحوا لو انى اشتغلت بالمقاولات ..! هيه .. ما رايك فى هذا ..!

وسكتت مسز بابيت ومضت تتصفح الجريدة .

ونظر اليها بابيت فجاة وقال :

ـ الا ترين انه يحسن بنا ان نوثق علاقتنا باسرة ماك كيلفى .! انى افكر فى ان ندعوهم الى العشاء .. يا للحماقة ..! من السخافة ان نضيع وقتنا فى التحدث عنهم ..! ان اسرتنا خير منهم الف مرة .. قارنى مثلا امراة طيبة مثلك بتلك الممرومسة لوسل ماك كيلفى .. ملعبة .. مغرورة متبهرجة .. انك كنز يا عزيزتى ..

ومستر ضعفه وحنانه بقوله

ـ لا تتركى تينكا تكثر من اكل الحلوى السامة .. بالله عليك اهتمى بها قليلا ولا تفسدى معدتها .. اظن اننى سأعود فى الموعد المعتاد .

وقبلها .. وان كان فى الواقع لم يقبلها وانما لمس بشفتيه الجامدتين وجنتيها اللتين لا تتخضبان . ثم اسرع الى الجراج وهو يتمتم قائلا :

ـ يا لها من اسرة ..! الآن ستنقم على ميرا انى لا اصادق اصحاب الملايين .. يا الهى ..! فى بعض الاحيان يخطر لى ان افر من البيت ..! والمكتب لا يقل سوءا عن المنزل ..! وعلى الرغم من ذلك اعمل واعمل .. واكدح واكدح .. كانى ثور قضى عليه بأن لا يستريح ..!

الفصل الثالث

- ١ -

ادارة محرك السيارة من اكبر المشاكل التى كان يعانيها جورج ف . بابيت فى كل صباح . فسيارته فاجعة وغرام وبطولة !

ففى الايام الشديدة الباردة يتعذر عليه فى الصباح ادارة المحرك الا بعد جهد شديد . وقد يضطر فى بعض الاحيان الى ان يقطر الاثير فى السلندرات نقطة فنقطة وهو يحسب لهذا الاسراف حسابا .

وفى هذا الصباح كان يتوقع ان يجد فى السيارة عطبا يتفق وما عراه من تشاؤم وكمد ونقمة منذ استيقظ . وعندما نجح فى ادارة المحرك وهم بان يسير افلتت القيادة من يده واخطأ الحساب فاصطدمت السيارة بجدران الجراج وانحشرت فى الباب عند خروجها . ولما تراجع الى الخلف ليصلح من وقفتها اصطدم بالجدار الخلفى . فازداد حنقه ولما مر بسام دوبلبرو صاح فيه قائلا : « صباح الخير » بلهجة اكثر رقة مما كان ينوى

الى يسار منزل بابيت يقع بيت مستر صامويل دوبرو سكرتير احد مصانع ادوات الحمام . وهو منزل مجرد عن النقوش والفن الهندسى الى درجة جعلت بابيت يعتبر مستر ومسز دوبلبرو من الرعاع . ومن منزلهما ترتفع أصوات الضحك وانغام الموسيقى حتى ساعة متاخرة من الليل . وتتناثر الاشاعات بانهما يقدمان الى الضيوف خمرا مهربة . وكان فى ذلك ما اتاح لبابيت موضعا للحديث فى كثير من السهرات . وكان لا يفتأ يقول فى صراحة :

ـ لا ضير فى ان يقدم الرجل الى ضيوفه الخمر المهربة مرة او مرتين اما ان يجعل ذلك عادة مستمرة فامر لا معنى له .. !

والى الجانب الايمن من منزل بابيت يقع بيت هواردلتيل فيلد الحائز على درجة الدكتوراه فى الفلسفة . وليتل فيلد يعتبر العلامة الاكبر بين الجيران . وهو حجة فى كل شىء فى العالم عدا الاطفال والطهى والسيارات . وهو حائز ايضا على البكالوريوس فى الفنون من جامعة بلورجيد . والدكتوراه فى الاقتصاديات من جامعة يبل ومهنة المدير العامل لشركة زينيت للنقل وفى امكانه فى خلال عشر ساعات ان يعد بيانا مدعما بالارقام والشواهد والامثلة التى وقعت فى بولندا ونيوزيلندا وفى اى بلد من بلاد العالم . وينشر هذا البيان على الجمهور ليبرهن على ان شركة النقل تحب الشعب وانها تهيم غراما بموظفيها وان جميع الاسهم فى ايدى الارامل والايتام . وان مشروعات الشركة ستؤدى الى منفعة

الملاك برفع قيم الايجارات . وستؤدى فى الوقت نفسه الى منفعة الفقراء بخفض قيم الايجارات .. !

على ان منفعة ليتل فيلد الكبرى انما ترجع الى مبادئه الروحية والسياسية فهو على الرغم من اطلاعه الواسع من اشد اتصار الكنيسة حماسة .. ومبادئه الجمهورية فوق الشك فشانه فى ذلك شان جورج ف. بابيت . وكان من رايه ان يحث رجال الاعمال على الاستمساك بالدين . ويبرهن لهم على ان لا نجاح للصناعات الا بالدين مؤيدا ذلك بالارقام وبالشواهد التاريخية والاقتصادية والفلسفة .. بل حتى باعترافات الزعماء الاشتراكيين الملحدين .. !

وفى هذا الصباح كان هوارد ليتل فيلد منهمكا يتفقد حديقته . فاوقف بابيت السيارة وهتف به :

ـ اسعدت صباحا .. !

فخف اليه ليتل فيلد فقال له بابيت وهو يشعل سيجارة الثانى فى ذلك اليوم :

ـ الجو جميل .

فقال ليتل فيلد :

ـ نعم .. انه جميل جدا .. !

ـ لقد بكر الربيع .

ـ هذا صحيح .. اننا الآن فى الربيع .

ـ ومع ذلك فالجو بارد فى الليل . وقد اضطررت ان اتدثر بالبطاطين فى الليلة الماضية .

ـ نعم . لقد كانت الليلة الماضية قليلة الدفء .

ـ ولكن خبرنى .. ما هو رايك فى المرشح الجمهورى . ؟ الا ترى اننا فى حاجة الى ادارة منظمة . ؟

فقال ليتل فيلد :

ـ انى اعتقد ان ما تحتاج اليه البلاد انما هو ادارة منظمة .. !

ـ يسرنى ان اسمعك تقول هذا .. نعم . ان البلاد ليست فى حاجة الى عمداء للجامعات او سفراء فى الدول الاجنبية انما هى الانتاج . والآن وداعا يا صديقى فقد أزف موعد العمل . والى اللقاء فى هذا المساء .

ـ ٢ ـ

لم يكن بابيت برجل الاعمال الذى يدخن السيجار الضخم ويقود السيارة ويحملق فى موظفيه من خلال نظارته ويزمجر حين ينبغى ان يبتسم نعم .. لم يكن بابيت هو ذلك الرجل . وانما كان

مثالا لرجل الاعمال الذى يحب مدينته حبا عميقا ويجيل فى البيوت التى يمر بها نظرة حافلة بالعطف والحنان . وعندما مر بضاحية المدينة التى بدات تمتد وتتشعب تبدد حنقه وعاوده الجذل . ولما اوقف سيارته فى محطة البنزين ليتزود كمية منها وحياه العامل بقوله : « طاب صباحك يا مستر بابيت » تضاعف ابتهاجه وقال فى نفسه : « ان العامل لا يزال يذكر اسمى .. لا ريب اننى رجل عظيم ولست كاولئك الشبان المهووسين الذين يمرون بالمحطة صباح مساء ومع ذلك تنسى اسماؤهم فى التو واللحظة ! »

وقال العامل يسأله :

ـ ما رايك فى المرشح الجمهورى يا مستر بابيت . ؟

ـ اننا لا نزال فى وقت مبكر . ولم اكون رايا بعد . ولكنى اعتقد ان البلاد فى حاجة الى ادارة سليمة لتنظيم الاعمال .

ـ هذا صحيح .

ـ الادارة المنظمة هى كل شىء .. هى ما تحتاجه البلاد .

ـ هذا صحيح .

ولما انطلق بابيت بسيارته مر برجل ينتظر عربة الترولى فاوقف السيارة وقال له : « اتحب ان اوصلك . ؟ » وقبل الرجل هذا العرض شاكرا وجلس الى جوار بابيت فقال له هذا :

ـ عندما ارى رجلا ينتظر الترولى لا اتردد فى ان ادعوه الى الركوب معى .. الا اذا كانت هيئته لا تبعث على الاطمئنان .

فقال الرجل الذى انتفع بهذه النزهة الخيرية :

ـ وددت لو كثر من يسخون بسياراتهم كما سخوت انت . !

ـ انها ليست مسالة سخاء .. كنت اقول لابنى بالامس ان الواجب يقضى على الانسان بان يشرك معه جيرانه فيما انعم الله عليه به من خيرات .

ويظهر ان الرجل لم يجد تعليقا على هذه الكلمات فلزم الصمت . فاضطر بابيت ان يسترسل قائلا :

ـ ان شركة النقل شركة لا تحفل بالجمهور .. ما معنى ان تسير مركباتها كل سبع دقائق . ؟ الا تعلم ان البرد شديد وان الانتظار طيلة هذه الدقائق تتجمد له اعضاء الانسان .. !

ـ هذا صحيح .. ان هذه الشركة تستهين بمصالح الجمهور .. ويجب ان تعاقب عقابا صارما .

ـ ففزع بابيت اذ لاحت له فى هذا الراى نزعة اشتراكية فقال :

ـ ولكن علينا ان نذكر المصاعب التى تعانيها شركة النقل من

بدخل البلدية ومن مطالب العمال المرهقة .. انها لجريمة ان يطالب العمال برفع اجورهم . والعبء لن يقع الا على وعليك حين نضطر الى ان ندفع اجرة قدرها سبعة شلنات .. ! والحق يقال ان خدمة هذه الشركة جديرة بالثناء

فقال صاحبه فى تردد :

ـ حقا ..

ولزم الصمت .. وكذلك لزم بابيت الصمت اذ لم يجد فى جليسه شيئا من حضور البديهة أو حدة الذكاء . وكرس وقته لمسابقة مركبات الترولى التى يمر بها وتجاوزها او المروق بين السيارات التى تسير فى بطء

وفى طريقه كان شديد الاعجاب بكل حى يمر به . وكلما أخذت عينه حيا جديدا ينبسط ويمتد فاض السرور بنفسه لعلمه بان نمو المدينة يؤدى الى اتساع حركة البيع والشراء فى الاراضى والعقارات . وبالتالى يؤدى الى ازدياد ربحه .. !

وعندما انزل جليسه فى المكان الذى يريد تنهد فى ارتياح وقال :

ـ انى اشعر بأنى سعيد اليوم .

- ٣ -

لم تكن ادارة محرك السيارة هى المشكلة الوحيدة التى يعانيها بابيت فى صباح كل يوم . وانما كانت المشكلة الثانية ايقافها والعثور على ركن يتسع لها أمام مكتبه .

كانت هناك فسحة تتسع للسيارة فقصد اليها بابيت .. ولكن قبل ان يبلغها احتلتها سيارة أخرى . فاستولى عليه الغضب وبحث عن مكان آخر . وارسل صوت البوق فى عنف شديد لينبه امرأة همت بأن تعبر الطريق واخيرا عثر على غايته المنشودة . ولما هم بأن يتراجع كاد يصطدم بمركبة نقل صغيرة . وبعد مناورات مرهقة .. وتقدم وتأخر .. وانحراف الى اليمين ثم الى اليسار .. استطاع ان يحشر السيارة فى المكان الضيق الخالى .

ويقع مكتب بابيت فى الطابق الاول من عمارة ريفز التى تعد من اجمل العمارات فى مدينة زينيث . وكان فى وسع بابيت ان يدخل مكتبه من الباب العمومى . ولكنه آثر ان يدخل من الباب الخلفى . اذ ما دخل مرة من الباب الامامى الا شعر بأنه غريب عن المكان وبأنه ليس صاحبه حتى لقد كان يخيل اليه فى بعض الاحيان أن موظفيه سيبادرونه بالسؤال : « ماذا تريد .. ! »

ولما دخل مكتبه سمع احد موظفيه ــ ستانلى جراف ــ يتحدث فى التليفون قائلا :

ــ اظن انى عثرت على المنزل الذى يلائمك .. فيلا برسيفال فى لنتون هل رأيتها .. ؟ ما رأيك فيها اذن .. ! آه .. فهمت .. آه .. فهمت .

وسمعه بابيت ينطق بهذه الجملة الاخيرة فى بأس وأسى فساءه انه لم يعثر حتى اليوم على موظف يؤمن مثله بأنه سينجح وانه سيعقد الصفقة فان هذا الايمان ــ كما يقول بابيت ــ هو أساس النجاح .

واجال بابيت فى مكتبه نظرة تنطوى على الاعجاب .. كان معجبا بالمقاعد والمكاتب والنوافذ والجدران والسجاجيد .. وكان معجبا بنفسه ايضا

وفى هذه اللحظة داخله شعور الخمول . وود لو استطاع أن يهرب من المكتب وأن يقضى يومه يتجول فى الغابات ويقفز كالاطفال .. وتمنى لو زار جانش فى تلك الليلة ليلعب القمار ويشرب مائة الف قدح من البيرة نعم .. مائة الف قدح . فقد كان يحس وهو فى غمرة جذله أن معدته يمكن أن تتسع لهذا العدد .

وتنهد وصاح يقول : « مس جاون » وكان يقصد بذلك سكرتيرته مس ماك جاون .. فلما خفت اليه املى عليها الخطاب التالى : ــ

« اومار جريبل .. ارسليه الى مكتبه يا مس ماك جاون .. خطابك بتاريخ التاسع عشر .. الجارى طبعا .. وصل . وردا عليه اقول . اسمع يا جريبل .. هذا التبذبذب والتردد سيؤدى الى اضاعة صفقة الن . لقد بحثت هذا الموضوع بحثا دقيقا مستفيضا واستطيع أن اؤكد لك ان .. » ولكن لا .. غيرى هذا كله يا مس ماك جاون .. اكتبى بدلا منه « أن تجاربى تدلنى على انه شخص يمكن الوثوق به .. انه يريد أن ينجز الصفقة حقيقة .. لا تظن انى غفلت عن دراسة تاريخه وعلاقاته المالية .. انها على ما يرام » .. اظن ان هذه الجملة يا مس ماك جاون سخيفة .. على أية حال يمكنك أن تغيرى فيها قليلا .. سطر جديد .

« نعم .. انه على استعداد لعقد الصفقة .. ومن المؤكد انه .. لا .. انا واثق من انه .. من اننا سنستطيع أن نحمله على دفع مبلغ من المال لحساب شركة التامين . فبالله عليك اهتم بالمسالة ولا تعرقلها فانك احمق انسان رأيته » .. طبعا لا تقولى احمق

انسان . فهذه الجملة لا ضرورة لها . والان يا مس جاون يمكنك ان تربطي هذه الجمل بطريقة منظمة . وفى الختام المخلص فلان الى آخره .. وقولى له ايضا ان لا داعى للتردد .. »

وبعد بضع دقائق رجعت اليه مس ماك جاون وقدمت اليه الخطاب مكتوبا على الآلة الكاتبة نصه كالآتى : -

« عزيزى مستر جريبل .

« ردا على خطابك المؤرخ ١٩ الجارى اخشى ان يكون فى هذا التردد ما يضيع صفقة البن . لقد بحثت الموضوع بحثا دقيقا مستضيفا وخبرتى توحى الى بانه راغب فى انجاز الصفقة . وقد درست مركزه المالى فلم اجد فيه مأخذا .

« وانى لاشعر شعورا قويا بان فى وسعنا ان نحمله على دفع مبلغ من المال لحساب شركة التأمين .

« فهيا الى العمل .. وفى غير تردد

« المخلص »

وذيل بايبت الخطاب بامضائه وهو يقول فى نفسه :

- خطاب واضح وقوى . ولكن ما هذا .. ؟ انى لم اقل لمس ماك جاون ان تبدا فقرة ثالثة فى سطر جديد .. ؟ يا الهى . ؟ وددت لو انها كفت عن تحسين املائى .. ؟ من قال لها ان تغير فى خطابى .. ؟

ثم تنهد وقال :

- ومع ذلك فالخطاب قوى واضح .

وبعد ذلك دعا اليه سكرتيرته واملى عليها نشرة دورية كان فى نيته ان يرسلها الى الف شخص يغريهم فيها بشراء البيوت وقد بداها بقوله :

- صديقى العزيز .. اننا نريد ان نخدمك ونريد ان نقدم اليك البيت الذى تصبو اليه نفسك .. مهمتنا ان نسدى هذه الخدمات الى الناس مقابل السمسرة التى سننالها منهم عندما يرضيهم عملنا .. اليس مؤلما ان تظل تدفع الايجار شهرا بعد شهر وعاما بعد عام ! . الم تفكر يوما فى ان تبتاع بيتا ؟ . عشا جميلا تستمتع فيه بغرامك وينشأ فيه اطفالك .. اننا على استعداد الان .. الى آخره ..

وفى اثناء املائه هذا الخطاب جعل ينظر الى مس ماك جاون .

لم ير فيها من قبل الا السكرتيرة البارعة : الاختزال والبارعة فى اصلاح املائه وتعبيراته فى كتابة الرسائل . اما الآن وللمرة الاولى .. فقد تبين ان لها شعرا أسود وان لها وجنات متضرجة .

وجعل يقارن بينها وبين فتاة احلامه . وخيلَ اليه بغتة انها نظرت اليه وانها ادركت ما يجول فى خاطره ففزع .. وذكر ما قاله صاحبه جاك اوقات :

ـ لا تغازل فى المكتب او فى المنزل تنقذ نفسك من المتاعب .. !

ولكن .. فى خلال الثلاث والعشرين سنة من حياته الزوجية اخذت عينه وجوها جميلة وسيقانا فاتنة وظهورا تستهوى العقول ولكنه مع ذلك لم يفكر يوما فى ان يغازل او يغامر

وانتقل بخواطره فجأة الى موضوع آخر .. جعـــل يفكر فى ضرورة تغطية جدران بيته بالورق الملون على الطراز الحديث .. وعمل حسابا للنفقات المنتظرة فساءته ضخامتها وفقـــد جلده تدريجيا وانقلب فجأة كارها لكل ما حوله حانقا على جميع الناس عدا فتاة احلامه اذ كان فى هذه اللحظة شديد التلهف الى مقابلتها والجلوس اليها .

الفصـــل الرابع

ـ ١ ـ

بعد ربع ساعة دخل عليه مستر كربى ليلوك مندوب الشركة فى جلن اوريلول لينتهى اليه امر صفقة جديدة وليقترح ان تعمل الشركة الى اذاعة الاعلانات على طريقة حديثة . وكان بابيت يمقت ليلوك ويمقت منه بنوع خاص ولعه بالغناء وبمغازلة الفتيات .. كان بابيت يعتقد ان فى اقدام الرجل على الغناء خنـــوثة لا تليق بكرامة الرجولة . واستهل ليلوك حديثه بقوله :

ـ ما رأيك يا مستر بابيت فى القصيدة التى نظمتها اعلانا عن البيوت فى جلن . ؟ الم تسمعها . ؟

واخذ يتلوها عليه وهو يفرط فقراتها . فقال بابيت :

ـ الحق انى لا احب الشـــعر واكره الشـــعراء ! انى احب الاستعانة بالعبارات القوية لا بالمقطوعات الشعرية المخنثة .. قل مثلا « اننا دائما فى الطليعة وغيرنا فى المؤخرة .. » او قل مثـــلا « غدا ؟ فلم لا يكون اليوم .. ؟ » ان الشعر يا عزيزى لا يمكن ان يؤدى الى بيع العقارات .. !

ـ ٢ ـ

لم يكد ليلوك يغادر المكتب حتى استدعى بابيت مســـاعده ستانلى جراف وقال له :

ـ انى اكره ان استمع الى صوت الدعى المغرور ليلوك .. جاء

الى السخيف يقترح على ان احث الناس بالقصائد الشعرية على شراء العقارات ! ولكن استمع الى ما كتبته انا

وذلك ان بابيت كتب اعلانا على اثر خروج ليلوك يمكن ان يعد قصيدة شعرية وان كان ينقصه الوزن والقافية .. !

وهذا نص الاعلان : —

« اتحترم ذكرى الذين احببتهم .. ؟ »

« عندما توسد احباءك الثرى .. وعندما ينطوى القبر على الاعزاء الراحلين .. الا تسائل نفسك عما اذا كنت قد احترمت ذكراهم ؟ . هل ارقدتهم فى مقبرة حقيرة او فى مقبرة جميلة ؟ . »

« مقبرة ليندن لين »

« هى اجمل المقابر فى زينيت .. فيها حدائق غناء وقبور جميلة من الرخام .. وعلى مقربة منها يجرى غدير من الماء له خرير شبيه بانغام الموسيقى .. فاذا كنت حريصا على ذكرى اعزائك واحبابك فلا تدفنهم الا فى هذه المقبرة » .

الوكلاء الوحيدون
سماسرة العقارات بابيت وتومسون
« عمارة ريفز »

ولما قرا بابيت هذا الاعلان على مساعده ستانلى فرك كفيه مسرورا وقال :

— هذا اعلان يا جراف سيتعلم منه اصحاب مقبرة وايلد وود كيف يكون الاعلان عن المقابر على الطريقة الحديثة .. !

— ٣ —

كان من عادة بابيت انه يقلع عن التدخين مرة واحدة من الاقل فى كل شهر . فيقدم على هذا العمل فى شجاعة منقطعة النظير ويروح يتحدث عن مساوىء التدخين ويعقد العزم فى جراة وجسارة على الكف عنه . ويبتكر الخطط المؤدية الى هذا الاقلاع . ويحلم طويلا بما سوف يظفر به من تورد الوجنتين . ويفضى الى كل من يقابله بما عقد عليه العزم . وجملة القول : يفعل كل شيء هذا الكف عن التدخين . !

منذ شهرين وضع جدولا ضمنه المواعيد التى اعتاد ان يدخن فيها بالدقيقة والثانية . واخذ يزيد على التدريج الفترات بين كل سيجار والسيجار التالى له حتى انتهى به الامر اخيرا الى الاكتفاء بثلاث سيجائر فى اليوم .

ثم ضاع منه الجدول .. !

ومنذ اسبوع ابتكر طريقة جديدة ينسى بها علبة سجائره في درج غير مستعمل في المكتب الخارجي وهو يقول في نفسه :

ـ سابدو سخيفا اذا تركت مكتبي ومضيت الى الغرفة الخارجية لآتي بعلبة السجائر اذ سيرميني الموظفون بالحماقة والسخافة . فيكون في هذا ما يحملني على الاقلاع عن التدخين »

ولكنه في هذا الصباح تبين ان ليس اهون عليه من ان يمضي الى المكتب الخارجي بين كل فترة واخرى ليأتي باحدى السجائر ! ولم يعد يزعجه ان يرميه الموظفون بالحماقة والسخافة .. !

ثم ابتكر طريقة اخرى وهي ان يغلق الدرج بالمفتاح ثم ينسى المفتاح في الدار .. وكانت النتيجة ان ابتاع علبة سجائر جديدة . !

ثم حرم على نفسه ان يودع جيبه علبة الكبريت فاذا ما هفت نفسه الى التدخين اتى بعود واحد من الكبريت من الدرج الخارجي ، حتى اذا انطفأ السيجار الضخم اثناء التدخين خجل ان يخرج مرة اخرى وهو المدير المرهوب الجانب ليأتي بعود من الكبريت ولكن السيجار انطفأ بعد ان اخذ منه نفسا أو نفسين فلم يدركه الخجل حين ذهب ليأتي بعود بعد عود بعد عود ..

وكان اذا حضر احد العملاء قدم اليه سيجارا وقدم الى نفسه سيجارا فاذا بكته ضميره رد عليه بقوله :

ـ اني منهمك الآن في العمل . ولا بد لي من التدخين . فاصبر حتى يخرج هذا العميل .

واذا ما خرج العميل نكص عن اطفاء السيجارة بحجة ان الاطفاء يفسد طرفها وفي هذا مضيعة للمال .. متناسيا أن في تدخينها مضيعة للصحة .

ودق جرس التليفون فاذا مخاطبه هو صديقه بول ريزلنج »

وكان بابيت يحب ريزلنج اكثر من اى شخص في العالم » طبعا بعد نفسه وبعد ابنته تينكا » كانا صديقين اثناء الدراسة . وبينهما اتفاق في المشارب والاهواء . وبعد التخرج التحق بول بمصانع ابيه التي تنتج نوعا معينا من الورق تغطى به السقوف لتحول دون تسرب مياه الامطار . ولم يرض بابيت لصاحبه هذا العمل اذ كان يعتقد ان بول يمكن ان يكون من رجال الفنون والآداب . وكلما جاءت مناسبة قال بابيت :

ـ ان رسائله التي وصف فيها رحلته الى كندا تعد انموذجا رائعا من ابلغ نماذج الادب .

ولكن لما تم الاتصال التليفوني دار الحديث بينهما بلغة يمكن ان تعد انموذجا رائعا من ابلغ نماذج اللغة العامية الركيكة .
واختتم الحديث باتفاقهما على تناول الغداء معا في النادى .

- ٤ -

امضى بابيت صباح يومه يصدر الاوامر والتعليمات الى موظفيه في لهجة عصبية والفاظ خشنة في بعض الاحيان ولا عجب في هذا وقد استقبل طائفة من الكتبة جاءوا يطلبون مسكنا مؤثثا ومؤلفا من خمس غرف بستين دولارا في الشهر . ! وكان آخر امر اصدره بابيت موجها الى مساعده مات بينمان يحثه فيه على أن يجمع المال من سكان لا مال لديهم

ولعل اكبر فضيلة لجورج ف. بابيت استقامته ونزاهته . فهو ينصح عملاءه دائما بان لا يسرفوا في رفع الاثمان او في تخفيضها بل يشير عليهم بان يتحروا ما يتفق وسعر السوق . ولكن اذا جاءه عميل احمق وأراد ان يدفع ثمنا عاليا فانه لن يتردد في ارضائه وقبول هذا الثمن مهما بلغ من ارتفاعه . فما دام الغبي يريد أن يبعثر امواله فليس من مهمة بابيت ان يجمع هذه الاموال ويعيدها الى جيبه . !

ولبابيت اسلوب طلى في الحوار يستطيع معه ان يقنع اشد عملائه تعنتا وله فضلا عن هذا قدرة على « التنبؤ » اذ يستطيع ان يتنبأ بما يرجى للمدينة من نمو وفي اى النواحى سيكون هذا النمو . وله في ذلك قول مأثور :
ـ اذا كان من واجب الجراح ان يعرف كل شريان وكل خلية في الجسم الانساني فان من واجب السمسار الذى يحب عمله أن يعرف كل شيء عن مدينته .

ولقد سمع مرة ان سجن المدينة في حاجة الى الاصلاح وان الطرق العلمية غير متبعة فيه . واطلع صدفة على تقرير المحامى الاشتراكى سينيكادون يؤكد فيه ان من الخطر القاء الغلمان والفتيات الصغيرات في سجن واحد مع المجرمين المتقدمين في السن والمصابين بشتى الامراض والادواء . وانه ينبغى عزلهم وتعليمهم . فكان تعليق بابيت على هذا التقرير منحصرا في قوله :
ـ انى لاضيق ذرعا بهؤلاء السخفاء الذين يطالبون بجعل السجون اشبه بالفنادق العظيمة . فاذا كان في الناس من لا يعجبه السجن فليحسن سيرته حتى لا يدخل السجن .. !

وكان هذا التقرير آخر عهده بالاعمال الخيرية فى مدنة زنيث اذ اقلع عن الاهتمام بها منذ هذه اللحظة

اما آراؤه فى الحالة الصـــناعية فيمكن أن تلخص على الوجه الآتى :

ـ الفائدة الوحيدة لنقابات العمال المنظمة هى انها تقضى على النزوات الاشتراكية والتى قد تنبت فى بعض الأدمغة . وفيها ايضا قضاء على النقابات الاشتراكية التى تعرقل حق التملك وتفسده . وان كنت ارى فى الواقع أن لا معنى مطلقا لقيام النقابات . وعلى رجال الاعمال أن ينضموا الى الغرف التجارية لمقاومة اثر النقابات . والممول الذى يأبى الانضمام الى الغرف التجارية يجب ان يرغم على ذلك أو يشنق .

اما الرجل الذى توكل اليه الاسر اختيار بيوتها فلا يفهم شيئا فى الشروط الصحية ولا يستطيع انيفرق بين باعوضة الملاريا وبين الوطواط ولا يعرف شيئا عن التجارب التى تجرى لاختيار صلاحية الماء للشرب .

وعندما انشا بابيت ضاحية اوربول ودعا الناس الى الاقامة فيها استطاع لاول مرة فى حياته ان يتحدث عن الشروط الصحية دون أن يفهم شيئا فى هذه الشروط . ولقد قال الناس ان شركة بابيت وتومسون وكلاء عن جاك أوفات صاحب الضاحية . ولكن الواقع ان الشركة كانت تملك اثنين وستين فى المائة من الاسهم . وان شركة النقل العامة تملك ثمانية وعشرين فى المائة . والباقى وقدره عشرة فى المائة من الاسهم يملكه جاك اوفات .

وجاك اوفات سياسى تحميه العصـــابات ليس له ذمة او ضمير ؛ وله فى ادارة دفة السياسة طريقة تدل على خراب الذمة . وهو فضلا عن ذلك معروف بتعمده الغش فى القمار . ولكن بابيت وشركة النقل خصصا له عشر الاسهم للاستعانة به على التخلص من مضايقات المفتشين الصحيين وتدخل اعضاء المجلس البلدى .

ولكن بابيت على الرغم من هذا رجل فاضل يدافع عن تحريم الخمور وان كان يحتسيها ويحبذ قوانين تحديد سرعة السيارات وان كان لا يفتا يخرج عليها فى كل يوم . ويجب ان لا ننسى انه لا يماطل فى دفع ديونه وان كان فى بعض الاحيان يستدين من هـذا ليوفى ذلك . كما أن من عادته أن يتبرع للكنيسة ولجمعية الصليب الاحمر ولجمعية الشبان المسيحيين . ولم يكن يلجأ الى الغش والخداع الا نزولا على حكم المهنة . وكان فى بعض الاحيان يشرح وجهة نظره لبول ريزلنج بقوله :

ـ ان اعلاناتى بطبيعة الحال لا تمثـل الواقع حرفيا . ولكن صاحب العقار هو السبب فى هــذا . فهو الذى يبالغ ويزعم ان عقاره اجمل واحسـن ما فى الدنيا . فهل من واجبى أن أثبت له انه كذاب . ؟ وفضلا عن هذا فالناس جميعا مطبوعون على الكـذب والمبالغة ولا يضيرهم ان يكذب المرء قليلا . فمن الســخافة ان اتحرى الصدق فى عالم هذا شأنه . . ! هذا الى ان مركزى شبيه بمركز المحامى الذى يطلب البراءة للقاتل وهو يرى يديه ملوثتين بدماء القتيل . ولو انه طلب شنقه لانبه القاضى وان كان الاثنان على يقين من انه قاتل . ولكنى مع هـــذا رجل شريف . فانى لا أسرف فى الكذب كما يفعل ســبيل راونترى أو تايبر او باقى السماسرة .

ـ ٥ ـ

كونرادليت مضارب معروف يتاجر فى الاراضى والعــقارات ولكنه عصبى المزاج دائم الخوف . ومن عادته قبل ان يقدم على احدى الصفقات ان يستشير أصحاب البنوك والمحامين والمهندسين والمقاولين والسماسرة وجميع من لديهم من كتبة او كاتبات وكل من يرضى بان يسديه النصح

وقد الف دائما ان يستعين ببابيت ويستنير بمشورته .

ومنذ ستة شـهور اتصــل ببابيت أن بدالا يدعى اركيبولد بوردى عزم على تكبير متجره فى لنتون وانشـاء محـل جزارة الى جواره . فتحرى بابيت عن الامر وعرف ان بوردى لا يملك البناء المجاور لمتجره والذى يمكن ان ينشىء فيه المتجر الجديد . فاسرع الى كونرادليت ونصحه بشراء البناء وصح ما توقعه بابيت اذ جاء اليه البدال ينشد شراء هذا البناء .

واستقبل بابيت البدال مرحبا ونعته بالاخ المخلص وقدم اليه سيجارا ضخما وود لو استطاع أن يقدم اليه سيجارين فى وقت واحد ثم قدمه الى كونراد ليت صاحب البناء اذ حضر هذا طبقا للموعد المضروب

واستهل بابيت حديثه بقوله :

ـ انك تعلم ايها الاخ بوردى ان بعض القصابين اتصلوا بى بغية شراء هذا المتجر ، ولكنى أبيت عليهم ذلك وقلت فى نفسى ان للاخ بوردى الاولوية . فانهم ان حلوا الى جواره وانشأوا محلا للبدالة فضلا عن الجزارة قضوا على متجر الاخ بوردى . ولما كنت أحبك أيها الأخ بوردى ولك عندى مكانة عظيمة . .

وهذا مع ملاحظة انه لم يقابل الاخ بوردى الا فى هذه المرة .؟
وبعد مفاوضات دبلوماسية طويلة تظاهر بابيت فى خلالها تارة بمحاولة خفض الثمن الذى يعرضه بوردى وتارة بمحاولته خفض الثمن الذى يطلبه كونراد ليت تم الاتفاق على عقد الصفقة بمبلغ واحد وعشرين الف دولار ومد بابيت يده فى الدرج واخرج عقدا محررا بهذا الثمن نفســه منذ اسبوع . فذيله الاخ بوردى بتوقيعه وعلى اثر التوقيع اكتفى بأن يدعوه مستر بوردى .

وبذلك تمت الصفقة العظيمة : خرج منها كونراد ليت بربح صاف تقدره تسعة آلاف دولار .وخرج منها بابيت بسمسرة قدرها اربعمائة وخمسون دولارا . وخرج منها بوردى بالمتجر الذى يتلهف اليه والذى سيمكنه من ان يقدم اللحوم الى اهل لنتون دون ان يتكبدوا مشقة فى الذهاب الى المدينة لابتياع حاجتهم .

وبذلك سعد ليت .. وسعد بوردى .. وسعد اهل لنتون. ولم يكن غير سعيد الا بابيت .
جعل يقول فى نفسه :
اكاد اموت غما عندما افكر فى أن ليت هو الذى ظفر بالربح كله مع انى انا الذى قمت بالعمل ..؟ حقيقة هو الذى اشترى البناء بأمواله ولكنى انا الذى نصحته بالشراء .؟ ليس فى هـذه الدنيا شيء من الانصاف
وغادر المكتب حانقا ..؟

الفصل الخامس

- ١ -

عندما يهم بابيت بمغادرة مكتبه يتخذ من الاستعدادات مالا يقل عن الاستعدادات التى تتخذهـــا الدول الكبرى عند اعلان الحرب .
فهو يسال مس ماك جاون فى انفعال عن الوقت الذى ستذهب فيه الى تناول الغداء . ثم يوصيها بان تتاكد من ان مس بانيجان ستحل محلها اثناء غيبتها .. وينبهى عليها بان تذكر لويدن فيلدت اذاماسال عنى تليفونيا انى اهتديت الى العنوان .. وعلى فكرة ذكرينى غدا بان اتبه على بنيمان بالبحث عن هذا العنوان .. واذا اراد احد ان يبتاع منزلا رخيصا فاعرضى عليه البيت الواقع فى شارع بانجور .. واذا احتجت الى فاتصلى بى فى النادى الرياضى

واذا .. وعلى فكرة ساعود بعد ساعة او ساعة ونصف على الاكثر.
واكتشف فجاة عند خروجه انه اشعل سيجارا جديدا . فرماه في عرض الطريق قائلا :

ـ تبالي ! .. يجب ان اقلع عن التدخين .. يجب ان اعنى بصحتي ..! ان المشي يفيدني فلم لا امشي الى النادي ظهر كل يوم بدلا من ركوب السيارة ! . ان ركوبها باستمرار كفيل بان يجعلني أصاب بتصلب الشرايين .

ونظر الى سيارته وهي واقفة في انتظاره عند الباب وهم بان يمشي ولكنه رجع عن رايه وقرر انه سيمشي ابتداء من الغد اذ تاخر اليوم قليلا عن موعد الغداء .

ولكن الوقت الذى استغرقه في ادارة المحرك واخراج السيارة من مكانها المحشور الضيق كان اكبر من الوقت الذى يستغرقه لو انه ذهب الى النادى سيرا على الاقدام .

ـ ٢ ـ

في الطريق الى النادى جعل بابيت ينقل بصره بين شتى الحوانيت والابنية التى يمر بها . وكلما راى متجرا يفتح او لوحة تعلن عن خلو احد المساكن اشتد جذله وابتهاجه اذ في هذا ما يبشر بعمل كثير لشركته .

ولما مر بمخازن السجائر المتحدة هم بأن يوقف سيارته وهو يقول في نفسه :

ـ اظنني في حاجة الى كمية من السجائر ..! ولكن انسيت ايها الغبى انك اقلعت عن التدخين ..!

ثم انتقل بخواطره الى الصفقة التى عقدها في ذلك الصباح فقال في نفسه :

ـ اربعمائة وخمسون دولارا .. مبلغ عظيم . ولكن موعد دفع الضريبة قد حل .. يجب ان اربح في هذا العام ثمانيه الاف دولارا على الاقل او فرمتها الف وخمسمائة دولار . في الشهر الماضى ربحت ٦٤٠ دولار . فاذا ضربنا ٦٤٠ في ١٢ شهرا كان الناتج .. اسهل من ذلك ان نضرب ١٠ في ٦٤٠ فيكون الناتج ٦٤٠٠ نضيف اليها .. اى نضرب ٢ في ٦٤٠ يكون الناتج .. اوه .. تبالى .. المهم انه يجب ان اربح ثمانية آلاف دولار .. دخل عظيم لا يحصل عليه كثيرون .. انى استطيع ان اراهن ان ليس في الولايات المتحدة كلها من يربح اكثر منى الا خمسة في المائة من

الأهالي .. انى فى القمة ! . ولكن .. ولكن ما أكثر النفقات .. الاسرة مغرمة بركوب السيارة واستهلاك البنزين .. ويرتدون من الثياب ما يجعلهم يتشبهون باصحاب الملايين .. والثمانون دولارا التى ارسلها الى امى فى كل شهر .. والكاتبات على التايبريتر ومس ماك جاون .. وستانلى جراف .. وسائر الموظفين .. كل هؤلاء يسلبوننى الربح الذى أحصل عليه بشق الانفس .

وكانت نتيجة هذه الميزانية العلمية انه شعر فى بدايتها بانه اغنى الناس . وشعر فى نهايتها بانه افقر الناس ..!

وفى غمرة هذا البحث الفنى اوقف السيارة واسرع الى حانوت ابتاع منه جهازا كهربائيا يثبت فى السيارة لاشعال السجائر . لينقذ نفسه من مشقة ايقاف السيارة كلما أراد ان يشعل سيجارة

وجعل يتامل الجهاز وقد ثبت امامه الى جوار عجلة القيادة معجبا مزهوا وهو يقول فى نفسه :

ـ ان السيارة التى ينقصها هذا الجهاز لا يمكن ان تعد سيارة ..! حقيقة ان فى نيتى ان اقلع عن التدخين . ولكن عملائى يستطيعون الانتفاع بها .. وفضلا عن هذا فوجوده فى سيارتى يظهرنى بمظهر الاغنياء .. ماذا ..؟ هل اكون الشخص الوحيد فى الاسرة الذى يحرم نفسه من كل شىء .!

ـ ٢ ـ

لم يكن النادى الرياضى لا ناديا ولا رياضيا . وانما كان مجمعا يختلف اليه نفر من الناس فيرتكبون كل ما يتنافى مع القواعد الرياضية اذ يسرفون فى التدخين والاكل والارتماء على المقاعد فى تكاسل وتراخ . ولم يكن يتردد على قاعة الالعاب الرياضية الا اقل من عشر الاعضاء ، وبعهم يمارسونها بقصد تنحيف ابدانهم وازالة كروشهم . فاذا ما انتهوا من التدريب انتقلوا الى قاعة الطعام واصابوا قدرا يردهم الى السمنة ويعيد اليهم كروشهم .

وهو ليس ناديا اذ يغص بمئات ليسوا اعضاء فيه . يحضرون لمقابلة الاعضاء ولتناول الطعام ولعب الورق وسرد الحكايات وعقد الصفقات التجارية .

وعندما دخل بابيت الى النادى القى بالتحية الى نفر من اصحابه . ولكن وجهه لم يشرق الا عندما راى فيرجيل جانش الذى دعاه فى الليلة الماضية الى داره حيث لعبا القمار وشربا البيرة

وقال جانش يحييه :
كيف حالك ايها الشيوعي ..! كيف اصبحت بعد الليلة الماضية ..!
ـ صداع شديد ...
ـ هذا لانك انتهيت بان تحتسى عشرين قدحا من البيرة .
ـ اسمع .. لقد اشتريت مشعلا كهربائيا للسجائر فما رايك ..! بخمسة دولارات .
فاخذ الحاضرون يمتدحون شراءه المشعل الكهربائي . والقى فيتكل ستاين محاضره طويلة خلاصتها ان الثمن وان كان مرتفعا الا انه كفيل بحصول الانسان على اجود ما في السوق . ولم ترق هذه المحاضرة لبابيت اذ كان معناها الصريح انه غبن في الثمن الذي دفعه .
ولكن فيرجيل جانش طيب خاطره بقوله .. انه ما من وجيه في زينيث الا وفي سيارته مشعل كهربائي . وكان ينبغي ان يشترى بابيت هذا المشعل منذ شهور . بل منذ سنوات .
وطاب بابيت نفسا بهذا القول وعد نفسه من الوجهاء .
ولما اشرق وجه بابيت ابتدره جانش بقوله :
ـ لا تحسبني صادقا اذ اقول لك انك من الوجهاء ! .
ورد بابيت على هذا المزاح بزمجرة مصحوبة بضحكة . ولم ينقذه من مزاح اصحابه الا حضور بول ريزلنج . فتبادلا التحية وذهبا الى احدى الموائد .
في هذا الصباح كان بابيت ينادى بضرورة الاقتصار على الاطعمه الخفيفة ولكنه الان لم يقنع الا باللحوم والكريمة والفطائر الدسمة ..
وقص بابيت على صاحبه ما كان من امر تلك الصفقة التى عقدها في الصباح لحساب كونراد ليت .. وقال :
ـ والحق يا بول انى لا ادرى ما اصابنى .. يداخلنى اليوم شعور عجيب ربما كان راجعا الى نشوة الربيع .. اعول اسرتى بسخاء . ولدى سيارة فخمة . وبيت جميل ، وشركة ناجحة .. وليست في حياتى اية رذيلة فيما عدا التدخين وساقلع عنه حتما ، واتردد على الكنيسة والعب الجولف واخالط اكرم الناس .. ومع ذلك فلست راضيا عن حياتى ! .
فهز بول كتفيه وقال :
ـ هذا شاننا دائما نحن رجال الاعمال . حياتنا ملأى بالمتاعب .. لا احب طبعا ان ارهقك بهمومى ، ولكن اسمع هذه القصة .. بالامس ذهبت الى السينما انا وزوجتى زيلا . وكان المدخل غاصا

بالجمهور . فأخذت تشق لنفسها طريقا وهي تصيح : « افسحوا لي طريقا ! . اين الاخلاق ! . اين التهذيب ! . » وصدقني يا جورج اذا قلت لك انى كنت اتمنى فى هذه اللحظة ان انقض عليها واقتلها . انها دائما تسعى الى اثارة المتاعب وتريد ان تتقدم على جميع الناس حتى فى غير دورها . وقد التفت اليها رجل مهذب وقال فى لهجة مؤدبة : « سيدتى .. لماذا تحاولين ان تتجاوزينى ودورى سابق لك ؟ . » فما كان منها الا ان صاحت : « انك لست مهذبا » والتفتت الى وجذبتنى من ذراعى وهى تقول : « بول . لقد اهاننى هذا الرجل ! . » وتظاهرت بانى لم اسمع قولها وان كان صوتها لتسبها بصفافير المصانع . واشحت بوجهى والناس ينتهبوننا بنظراتهم وينالون منا بكلماتهم اللاذعة . وزيلا ماضية فى سبابها قائلة :

ـ يجب ان يحرم دخول هذه السينما على الرعاع .. بول .. هل لك أن تستدعى المدير ليطرد هذا الفار القذر ! .

فاسرعت بالذهاب لا لكى انادى المدير ولكن لكى ابتعد عنها . وبعد اربع وعشرين سنة من هذا العذاب لا تنتظر منى يا جورج أن اقول لك انه ينبغى أن تكون راضيا عن نفسك وعن حياتك .

فقال جورج بابيت :

ـ وانا ايضا يا بول متبرم بحياتى الزوجية .. اكد واكدح فى سبيل هؤلاء الملاعين . فلا القى منهم الا النكران والجحود . وحتى السيارة يابون ان يتركوها لى ، اذ يحاول كل منهم ان يستولى عليها .. ولكن لماذا لا تطلق زيلا ؟ .

ـ ليتى استطيع .. انها تابى الطلاق ! . وانى لاتمنى ان تخوننى حتى اجد سببا ابرر به رفع الامر الى المحاكم . ولكن فيما بينى وبينك .. لن اكون راضيا مغتبطا اذا هى خانتنى .. طبعا انك تعرف انها لا تتحرج عن مغازلة اى مخلوق . ولها تلك الضحكة المفتوتة الرنانة ، وتلك الجملة التى لا تفتأ ترددها « ابتعد عنى ايها الخبيث والا فتك بك زوجى الجبار ! . » وبهذه الكلمات تثير اصدقاءها وتجرئهم على مداعبتها فتطيب نفسها بذلك .. شد ما امقتها ! . انها تريد منى ان اشترى كل شيء فى العالم واقدمه اليها .. وعندما تثور ثائرتى تتظاهر بالغضب والضعف وتزعم انها لم تطلب شيئا .. انك تعلم انى احب ان ادخن السجائر الفخمة ، ولكنها تابى على ذلك وترغمنى على تدخين الانواع الحقيرة

فقال جورج بابيت :

ـ وبهذه المناسبة هل انباتك يا بول انى عزمت على الاقلاع عن التدخين ؟ .

- حقا ! . وانا احب الاطعمة الشهية ، ولكنها لسوء الحظ لا تجيد الطهى ولا تجيد المنابذة والمهاترة . انك دائما تتحدث يا جورج عن الفضيلة والشرف والاستقامة . ولكن صدقنى ان لا شيء يمكن أن ينسيني هذه الويلات الا الانغماس فى الرذيلة . هى وحدها الكفيلة بان تنقذنى من زوجتى زيلا ..

فقال جورج بابيت محتجا :

- ينبغى يا عزيزى بول ان يكون رجل الاعمال مثلا اعلا فى الفضيلة ..

- دعك من هذه العبارات المحفوظه . لقد كنت حقيقا بان انتحر منذ بضعة اعوام لو لم اقابل فى بعض الليالى فتيات جميلات يداعبتنى ويجعلننى انسى « الحياة المحترمة » التى تنادى انت بضرورة التشبث بها . وحياتى فى المصنع لا تطاق ايضا ! . الغاية التى اسعى اليها هى القضاء على جميع المنافسين ، ثم مضاعفة اسعارى بعد ان يحلو لى الجو . وكل هذا على حساب الجمهور المسكين .. وقد كان الواجب يقضى بان تضع الحكومة يدها على جميع المصانع وتحدد الاسعار المناسبة ..

فصاح جورج بابيت مقاطعا :

- ما هذا الهذيان يا بول . هل اصبحت اشتراكيا ! .

- كلا بالطبع .. انى اعرف ان للمنافسة فوائدها وان البقاء للاصلح ، ولكنى اردت ان اقول . انظر الى هؤلاء الالوف المحتشدين فى هذا النادى .. لو انك اطلعت على طوايا نفوسهم لوجدت ثلثهم راضيا عن زوجته وحياته المنزلية واصدقائه واعماله واولاده .. والثلث الثانى قلق مضطرب وان كان يابى الاعتراف بذلك .. اما الثلث الباقى شقى منكوب ، يحتمل العذاب الى أن يجيء يوم يخرج فيه عن طوق الاحتمال والا فبماذا تفسر حوادث الانتحار التى لا يهتدى احد الى سرها ؟ ، وبماذا تفسر اقدام الناس على التطوع فى الحروب والقاء انفسهم الى جحيم الموت . اتظنهم يفعلون ذلك بدافع من الوطنية ؟ .

فصاح بابيت :

- وماذا تنتظر ؟ . اتظننا خلقنا لننام على فراش من الورود والازهار ؟ . اتظن ان الانسان خلق ليكون سعيدا ؟ .

- ولم لا ؟ . وان كنت لم اجد حتى الان من يفهمنى لم خلق الانسان ..

لقد اجاب الانجيل على هذا السؤال .. خلق الانسان ليؤدى واجبه فى الحياة .. واجب نحو الكمال الانسانى . فالذى

ينكص عن اداء واجبه هو عالة على الدنيا . هو جرثومة فساد ! .
أتظن ان من حق الانسان اذا برم بزوجته ان يتخلى عنها وان ينتحر ؟ ..

ـ الواقع انى لا ادرى ما هى حقوق الانسان ! . كما انى لا ادرى الوسيلة التى تنقذ الزوج من زوجة لا يحبها ! . ولكنى اعرف على الاقل ان تسعة اعشار الناس متبرمون بحياتهم . . . عينا ان الصراحة تنقصنا . نمضى ستين عاما نتظاهر بالسعادة ، ونجامل . ونتلطف . ونصبر . ثم نمضى بقية الحياة امواتا . . . لو اننا تذرعنا بقليل من الشجاعة لكنا اسعد حالا مما نحن الان .

وامتد بينهما الحوار وانتهى الامر بتسليم جورج بابيت . وعلى الرغم من تشبثه بالواجب والتسامح والصبر .. اعترف بان الحياة اصبحت لا تطاق .. وقال :

ـ اسمع يا بول .. انك لا تفتأ تتحدث عن ضرورة التذرع بالشجاعة فلم تجبن ؟ .

ـ اجبن بحكم العادات المتسلطة . بحكم التقاليد التى تواضع عليها الناس .. تسافر زيلا الى نيويورك وتمضى وقتا فى المآدب والمسارح والحفلات ، ضاحكة مبتهجة تتلقى مغازلات المجانين فى سرور . بينما بابيت وريزلنج وامثالهما يعصرون ادمغتهم سرا ويمضون ليلهم ونهارهم فى الكدح المتواصل ! . لماذا لا نزعم انا وانت ان هناك عملا يقتضى وجودنا فى نيويورك اربعة او خمسة ايام ثم نسافر الى مين ونمضى فيها اياما فى اللهو والمسرات . ندخن ونلعب القمار . وننام طيلة النهار ؟ .

فقال بابيت فى اعجاب

ـ فكرة رائعة ! ..

منذ اربعة عشر عاما وهو لا ياخذ عطلة الا رافقته فيها زوجته .. ولم يجرؤ على التفكير فى ان يمضى عطلة بدونها .

واسترسل بابيت قائلا :

ـ ولم لا ؟ .. ليس فى هذا العمل اية جريمة . يمكنك ان تقول لزيلا ..

ـ لو انى افضيت الى زيلا بالحقيقة لمانعت فى ذهابى ولاعتقدت انى ذاهب لاقابل بعض النساء .. وكذلك ستقول لك زوجتك ميرا « اتكره ان اصاحبك الى مين ؟ . » فتضطر ان تجاملها وتدعوها الى مرافقتك .. وبذلك تفسد العطلة وتنتقل معك الاسرة بمتاعبها وهمومها ..

وفرك بابيت كفيه وقال ، وقد استخفه الطرب !

ـ اسمع يا بول .. انى مسافر الى نيويورك لاعقد صفقة هامة وبطبيعة الحال سأكون فى حاجة اليك لترشدنى برايك الصائب .. نعم .. نعم سنذهب الى نيويورك ومن هناك سافر توا الى مين . رفى مين يمكننا ان نتخلص من همومنا ومتاعنا .. ولكن اسمع يا بول .. يجب أن نسلك سلوكا شريفا .. انك تعلم انى احب أن اتشبث دائما بالفضيلة ، فلا تحاول ان تستدرجنى الى عمل ينافى الفضيلة .. نعم .. سنسافر الى مين . فالى اللقاء أيها الصديق العزيز .. نعم .. سنسافر الى مين ! .

الفصـل السـادس

- ١ -

نسى بابيت صديقه بول ريزلنج فى غمرة الاعمال المختلفة التى انهمك فيها بعد الظهر ، وصحب احد عملائه فى سيارته ليعرجه على مسكن معروض للايجار . وابدى العميل اعجابه الشديد بالمشعل الكهربائى فربح لقاء هذا تخفيضا جسيما فى الايجار .. واشعل بابيت ثلاث سجائر ضخمة بواسطة المشعل . وكل مرة يقذف بالسيجار من نافذة السيارة وهو يقول :

ـ يجب ان أقلع عن التدخين ! .

ثم يشعل سيجارا جديدا ليرضى فى نفسه شهوة الاعجاب .

واخذ يحدث عميله عن الاختراعات الكهربائية الحديثة وما لها من فائدة ، وان العالم بدونها كان جديرا بأن يصبح صحراء مجدبة . وهو فى كل مرة يشير الى المشعل ويقول : انظر .. الا تراه مفيدا ؟ .

ومر فى طريقه بحميه هنرى تومسون فدعاه الى مشاطرته سيارته وحدثه عن المشعل الكهربائى الجديد . ولكن تومسون كان على نقيض صهره يمقت الاختراعات الحديثة . ولم يستغرب منه بابيت هذا الراى .. اذ كان له فى حميه راى غريب . كان يعتقد انه رجل خلق منذ أجيال ونسى ملاك الموت ان يقبض روحه فعاش فى دنيا لا يفهمها ولا تمت اليه بصلة .

وقال له تومسون :

ـ لست اظن ان فى سيارة نويل ريلاند او سيارة شارلى ماك كيلفى مشعلا كهربائيا ! .

ولما بلغ بابيت مكتبه كان الحنق قد اشتد به .. الان ريلاند او ماك كيلفى يربحان اكثر مما اربح يكون لهما القدر الاول ويكون

وايهما حكما لا ينقضى ؟ . والله انى لاكره ان اجلس اليهما . بل انى لاكره ان استمر فى عملى ويخيل الى انه سيحل يوم ارحل فيه من هذه المدينة واهجر المكتب ! .

كان من عادة بابيت ان يردد فى مسمع زوجته قوله :

ـ يجب أن يحسن المدير معاملة موظفيه .. ان التعاون هو الخطة المثلى .. لولا الموظفين لعجز المدير عن انجاز عمله . فعليه ان يترفق بهم .

ولكنه اليوم نسى الخطة المثلى حين دخل عليه ستانلى جراف يسأله ان يزيد عمولته .. فما كان منه الا ان صاح به فى غضب مكتوم :

ـ اسمع يا ستان .. يجب ان نسوى الموقف .. انك تعتقد انك انت الذى تقوم بالعمل .. فليت شعرى كيف نبتت هذه الجرثومة فى دماغك ! . وماذا يكون من شانك لو انى لم ازودك برأس المال وبقوائم العقارات وبالاشخاص الذين تعقد معهم الصفقات ؟ . ان عملك قاصر على تنفيذ تعليماتنا .. وصدقنى اذا قلت لك ان بواب العمارة يستطيع ان يبيع اى عقار بنفس السهولة التى تبيعه انت بها ! . تقول انك خطبت فتاة وانك تضطر الى تركها فى المسا للبحث عن المشترين .. فاى ضير فى هذا ؟ . تريد أن تقضى المساء جالسا الى جوارها ممسكا بيدها ؟ . اسمع يا ستان .. اذا كانت خطيبتك عاقلة فسيسعدها ان تراك رجل عملى تسعى الى المال ، ان الرجل الذى يمضى مساءه فى مطالعة القصص أو مغازلة الفتيات رجل لا يصلح لان يعيش ! . فما هى غايتك فى الحياة ؟ . اننا نريد هنا اشخاصا لهم قدرة على التنبؤ . اشخاصا لهم مثل اعلى يسعون اليه .. فهل انت صاحب مثل اعلى وصاحب قدرة على التنبؤ ؟ . ام قعود متواكل خامل ؟ ! .

ولم يكن جراف فى هذه اللحظة مغرما بالمثل الاعلى او بالقدرة على التنبؤ .. ولهذا قال :

ـ تقول انه يجب على أن اسعى لجمع المال .. وهذا حق .. ومن اجل هذا اطالب بزيادة عمولتى ..

ـ اسمع يا ستان ! . اننى ضد مبدا منح العلاوات .. اذا منحتك علاوة لم يتردد الآخرون فى مطالبتى بمثلها .. وليس من الانصاف ولا من العدل ان اعطيك واحرمهم . ولا تظن يا جراف انى اريد بهذا ان احرجك حتى تتخلى عن العمل لابادر الى تعيين شخص سواك بعمولة أقل من الوف العاطلين الذين يتسكعون فى

الطرقات . كلا يا ستان . انى أحبك ولا ارضى أن اتخلى عنك على الرغم من أن هناك كثيرون يرضون بعمولة اقل من عمولتك ..
فتنهد جراف وقال :
ـ طبعا .. طبعا .. انى اشكرك ..
وانصرف ! .
ولما خلا بابيت الى نفسه كان شديد الاعجاب بالمحاضرة التى القاها . ولكنه ما لبث ان سمع لغطا فى المكتب الخارجى .. فقال فى نفسه :
.. يظهر ان كلماتى اغضبت ستان ! . وليت شعرى ما الذى يقوله الآن لمس ماك جاون ؟ . بودى ان اعرف الحديث الذى يتبادلان ..
وعندما غادر المكتب فى المساء خيل اليه انهم جميعا يرمونه بنظرات شذراء ويضحكون وراء ظهره ساخرين .. وقد كره أن يكون موضعا للسخرية ، ولكنه لم يجرؤ ان يستدير اليهم فجأة ليرى كيف ينظرون اليه ! .

- ٢ -

عندما دخل بابيت داره صرخ بملء صوته : « اين انت ؟ . » يقصد زوجته .. دون ان تكون فى نفسه رغبة حقيقية فى معرفة مكانها ..
ولما جلسوا الى مائدة العشاء ذكر المشعل الكهربائى ورفع صوته قائلا :
ـ اظن انه يحسن بنا ان نشترى سيارة جديدة .
فصاحت به فيرونا قائلة :
ـ ولتكن سيارة مقفلة يا ابتاه ، فانها اجمل شكلا ! .
ـ اما انا فاوثر السيارة المفتوحة لانها تملأ الرئتين هواء نقيا ..
ـ فقال تيد :
ـ هذا لانك لم تجرب السيارة المقفلة . انها تدل على الرقى واليسار ! .
فقالت مسز بابيت : السياره المقفلة تحمى الثياب من الغبار
وقالت فيرونا : وتبقى الشعر مصقولا غير منفوش .
وقال تيد : وتدل على الوجاهة .
وقالت تينكا : ان لدى والد مارى الين سيارة مقفلة .

واختتم تيد المناقشة بقوله :
ـ الناس جميعا يقتنون سيارات مقفلة الا نحن ! .
فنظر اليهم بابيت متحديا وقال :
ـ اتظنون انى اقتنى سيارة لاجعلكم تتشبهون بأصحاب الملايين ! . انى احب السيارة المفتوحة لانى احب الهواء النقى .. وفضلا عن هذا . فالسيارة المقفلة اغلى ثمنا ..
فقال تيد :
ـ اذا كان « دوبلبرو » قد ابتاع سيارة مقفلة فهل نعجز نحن عن ذلك ؟ ! .
ـ انى اربح ثمانية آلاف دولار فى العام ، وهو لا يربح الا سبعة . ولكنى لا احب ان ابعثر اموالى كما يبعثرها هو .

وتدرج بهم الحديث الى الكلام عن لون السيارة وقوتها وعدد مقاعدها وطرازها .. الخ .. وهم فى كل هذا يفترضون انها سيارة مقفلة دون ان يقيموا وزنا لرأى الرجل الذى سيدفع الثمن ! .

وسخن المناقشة فترت حين اعلنهم بابيت انه لا ينوى ان يشترى السيارة الجديده . فانطلقوا يعيرونه فى الفاظ رقيقة بانه لو كان من الوجهاء لعرف ان شراء السيارة الجديدة ضرورى .. وان .. وان .. الخ ..
وقال بابيت فى نفسه :
ـ يالها من اسرة ! . لا ينقذنى من هذه المهاترات الا السفر ! . نعم .. سأسافر الى مين مع بول ! . وانسى البيت وهمومه .
ثم التفت الى زوجته وقال فى شىء من التردد :
ـ لقد كتب لى احد عملائى فى نيويورك يدعونى الى مقابلته بشأن صفقة هامة ، وربما صحبنى ريزلنج لاستثير رأيه فى مسألة السقوف ..
وخرجت فيرونا عقب العشاء ، وشيعها ابوها بقوله :
ـ الا تقضين ليلة واحدة فى الدار ؟ .
اما تيد فجلس يدرس محاضرته . على انه ما كاد يقرأ بضع دقائق حتى قال محتجا :
ـ ليت شعرى . لماذا يرهقوننا بدراسة شكسبير وملتون ؟ . وما فائدة اللغة اللاتينية ونحن نتكلم الانجليزية ؟ .. ان هؤلاء المدرسين ..
فقالت مسز بابيت مؤمنة :

ـ انى طبعا لم اقرا شكسبير ، ولكنى لا اظنه يستحق القراءة ..

فرفع بابيت بصره عن الصحيفة التى كان منهمكا فى مطالعتها وقال :

ـ يجب ان تدرس شكسبير لانك لن تنجح فى الامتحان الا اذا درسته . وان كنت فى الواقع اعتقد ان هناك ما هو اجدى وانفع من دراسة شكسبير .. لماذا لا يعلمونكم مثلا ادارة الاعمال او طريقة كتابة الرسائل التجارية او نحو ذلك ؟ . ولكن ما الداعى الى الجدل والحوار ؟ . هذا امر مقرر فلا مهرب منه ! . عيبك يا تيد انك تريد ان تخالف الناس .. اذا كنت ستلتحق بمدرسة الحقوق » ويجب ان تلتحق بها « فستكون فى اشد الحاجة الى اللغة اللاتينية ..

ـ وما فائدة مدرسة الحقوق ؟ . بل ما فائدة الجامعات على الاطلاق ؟ .. انى اعرف اشخاصا لم يلتحقوا بالجامعات وانما عمدوا الى العمل فى سن مبكرة .. وهم الان يربحون اضعاف ما يربح خريجو الجامعات .. ان المسكين شيفى بيترز استاذ اللغات فى المدرسة لا يربح فى العام الواحد الا الف دولار مع ان عمال المتاجر لا يرضون بهذا الاجر .. اننى اريد ان اكون طيارا او صاحب جراج او واحد من اولئك المندوبين الذين توفدهم شركات البترول الى الصين .. وفى وسعى ان ادرس فى اوقات فراغى فى مدارس المراسلات .. ان هذه المدارس تساعدنى على دراسة اى فرع من الفنون والعلوم .. الم تقرا بعض اعلاناتها ؟ . ان لدى مجموعة منها ..

واخرج من بين دفتى كتاب الهندسة مجموعة من قصاصات الصحف والمجلات ملأى باعلانات مدارس المراسلات .. وتناول اعلانا منها تعلوه صورة شاب تبدو على وجهه مخايل الذكاء والبشر وحوله عشرات من اليائسين يسألونه عما صنع . وتحت الصورة الاعلان التالى :

« نجاحك فى قدرتك على الكلام »

نحن نعلمك

كيف تخاطب صاحب المسكن . كيف تخطب فى المآدب ، كيف تروى الحكايات ، كيف تغازل السيدات . كيف تسلى مدعويك ، كيف تغرى العملاء ، كيف تكون شخصيتك ـ وباختصار كيف تصبح رجلا قويا ومفكرا ـ نحن نعلمك كيف تنجح فى الحياه »

« اتدرى من الذى قابلته بالأمس فى مطعم لوكس ؟ .. قابلت فريدى ديركى الذى يشتغل كاتبا فى احد مصانع السفن والذى اعتدنا ان نلقبه بالميت الحى .. وفى بعض الاحيان كنا نسميه « الفأر » .. كان عهدنا به رجلا شديد الحياء .. شديد الوجل يموت رعبا اذا دعاه المدير يوما الى مكتبه .. ولم يشعر احد بوجوده وباهميته على الرغم من كفاءته فى العمل .. يا لله ! كيف يجسر على دخول مطعم لوكس ؟ . بل من اين له المال الذى يأكل به فى هذا المطعم الذى لا يغشاه الا أصحاب الملايين .. ولكنه كان جالسا الى مائدته رابط الجاش متزن الحديث لا يرتبك امام الجرسونات بل يخاطبهم فى غير مبالاة ؟ ..

فقد سألته عن شأنه فضحك وانبأنى انه اصبح مساعدا للمدير فى مصنع السفن .. فلما ابديت استغرابى انبأنى انه التحق باحدى مدارس المراسلات وتلقى فيها فن الحديث .. فاستطاع بذلك ان يدخل على رئيسه غير هياب ولا وجل ويثبت له فى براعة وطلاقة أنه كفء فى عمله وانه يستحق علاوة كبيرة .. فاقتنع المدير بصحة رأيه وضاعف مرتبه .. وما زال يتدرج حتى صار مساعدا للمدير ..

فلماذا لا تفعل كما فعل فريدى ديركى ؟ .. لا تتردد لحظة واحدة .. بل اكتب فى الحال الى الخطيب المفوه البروفسور والدو بيت « على تذكرة بريد » اطلب منه درسا على سبيل التجربة فاذا استفدت فادفع الاشتراك ترسل اليك باقى الدروس .. واذا وجدتها غير مجدية ردت اليك نقودك على الفور ..

اكتب الى البروفسور بيت .. انه يستطيع ان يرفعك من الخمول الى الشهرة .. من كاتب حقير الى مدير كبير .. انه يستطيع أن يخلق منك رجلا .. هل انت ممن يقنعون بربح تافه ؟ أو بربح ضخم ؟ ..

اكتب الى البروفسور بيت على الفور .. انه مدير مدارس المراسلات فى ساند بيت » .

والفى « جورج ف . بابيت » نفسه فى حيرة امام هذا الاعلان اذ لم يعرض له فى حياته بصفته من سماسرة الاراضى والعقارات ما يمكنه من ان يدلى برأى فى موضوع مدارس المراسلات . فقال فى شىء من التردد :

ــ اعلان مغر .. الواقع انى اعتقد ان لدى شيئا من المقدرة الخطابية .. وانى لأعلم أن رجلا غبيا مثل شان موت ما كان لينجح فى عمله كسمسار للعقارات لولا بلاغته وطلاقة لسانه .. ولكنى

لا أرى ما يدعو الى التحاقك بمدارس المراسلات مادمت تتلقى في مدرستك العالية كل شيء يتعلق بأسرار اللغة الانجليزية .

فقالت مسز بابيت مؤيدة : هذا صحيح ..

وقال تيد معترضا :

ــ ولكنهم يعلموننا يا ابتاه الى جانب اللغة الانجليزية دروسا اخرى غير عملية .. والآن أصغ الى هذا الاعلان :

« هل انت ضعيف جبان »

« يهزا منك النـــاس »

« اذا كنت سائرا مع امك او اختك او خطيبتك واهانها احد المـــارة بكلمة جارحة فهـلا يقتلك الخجل اذا عجزت عن الدفاع عنها ؟ أيمكنك أن تذود عنها وتحميها ؟.»

« اننا نعلمك الملاكمة والدفاع عن النفس بالمراسلة .. ولقد كتب الينا تلامذتنا الـكثيرون يؤكدون لنا انهم استطاعوا بعـد دروس قليلة ان يتغلبوا على خصوم اقوى منهم واضخم اجسادا.. تبدا الدروس بحركة بسيطة تجريها امام المرآة .. كيف تتفادى ضربات خصمك .. كيف تشـل حركته بحيل المصارعة اليابانية.. الخ .. ولن يمضي وقت طويل حتى تجد نفسك بارعا في تسـديد اللـكمات والمفاداة والتراجع كأنك امام خصم حقيقي » ..

وعلق «تيد» على هذا الاعلان بقوله :

ــ بودى ان اتعلم الملاكمة بالمراسلة لالقى درسا على زميل لي في المدرسة يحاول دائما ان يغيظني .

فقال بابيت :

ــ كلام فارغ ! يا لها من فكرة ! الملاكمة لا نفع لها ..!

ــ ولكن افرض انى كنت أسير مع ماما او رون وان احد المارة اهانها بكلمة جارحة .. فماذا أفعل ؟..

ــ تتظاهر بالصمم وتبتعد باسرع ما يمكن ..

ــ لن افعل شيئا من هذا .. لو اهان شخص اختى لأريته ..

ــ اسمع يا جاك دمبسى ! اذا عرفت انك تشاجرت مع احد فركت اذنيك ! والقيت عليك درسا لا تنساه .. وسالقيه عليك دون ان اكون في حاجة الى الوقوف امام المرآة والاتيان بحركات اشبه بحركات المجانين ..!

وقالت مسز بابيت :

ــ ان التشاحن لا يليق بك يا تيد ..!

ـ ولكن افرضي يا اماه انى كنت اسير معك وأن شخصا اهانك بكلمة جارحة !..

فصاح بابيت :

ـ لن يهين احد احدا بكلمة جارحة اذا خطر لك ان تبقى فى البيت لتدرس الهندسة بدلا من تضييع وقتك عبثا فى صالات الرقص وحول الموائد المصفوفة عليها زجاجات الصودا ..

ـ يا الهى .. ولكن لنفرض يا ابتاه ان ذلك وقع ..؟

فقالت مسز بابيت :

ـ اذا وقع هذا فلن اشرفهم بالاهتمام بهم .. بل سأتابع سيرى كأنى لم اسمع شيئا .. ومع ذلك فالرجل لا يتحرش بامرأة الا اذا شجعته هى على ذلك .. ولم يسبق أن تحرش بى احد حتى ..

ـ ولكن لنفرض يا ماما أن شخصا تحرش بك .. مجرد فرض .. الا تستطيعين ان تفرضى !. الا تستطيعين ان تتصورى، وتتخيلى !..

ـ طبعا استطيع ان اتصور .. يا له من سؤال ..!

ـ ان امك طبعا تستطيع ان تتصور وتتخيل .. وتستطيع ان تفرض .. اظن انك دون الاسرة جميعا الشخص الوحيد الذى له القدرة على التخيل والتصور !.. ولكن ما الداعى الى كل هذه الفروض ما دامت الوقائع حاضرة امامنا !..

ـ ولكن اسمع يا ابى .. افرض .. مجرد فرض .. افرض انك فى مكتبك وان سمسارا من منافسيك الذين تكرههم .

ـ انى لا اكره احدا من السماسرة ..

ـ افرض انك تكره احدهم . مجرد فرض ..

ـ لن أفرض شيئا من هذا القبيل .. طبعا هناك كثير من السماسرة يكرهون بعضهم بعضا .. ولكن اذا كانت أكبر سنا مما انت واذا كنت لا تحشو ذهنك بالترهات والسخافات التى تلقيها اليك الفتيات الماجنات اللائى يرافقنك الى دور السينما عاريات السيقان حمر الشفاه ـ اذا كنت كذلك امكنك ان تعرف انى الرجل الوحيد فى زينيث الذى ينادى بضرورة التسامح بين اصحاب المهنة الواحدة .. ولهذا لا استطيع ان افرض انى اكره احدا من السماسرة .. حتى ولا ذلك الصعلوك الحقير سيسيل راونترى الذى لو تمكنت منه لشنقته .

ـ ولكن ..

ـ لا تقل « اذا » ولا تقل « ولكن » .. ولكن اذا فرض وحدث شىء من هذا القبيل فلن احتاج الى الوقوف امام المرآة والاتيان بهذه الحركات الجنونية .. لنفرض انك كنت فى مكان ما وتحرش

يك احد الاشخاص فهل تظن انك ستثب وتقفز وتلوح بيديك كأنك مهرج !.. كلا .. بل تنقض عليه فجأة وتطرحه ارضا ثم تنهض واقفا وتنفض الغبار عن ثيابك .. فيجب ان تعى هذا واياك ان تفكر فى ان تتعلم الملاكمة بالمراسلة ..

فقال تيد فى يأس وقنوط :

ـ لقد اردت فقط ان اريك ان مدارس المراسلات تعالج كل فن وعلم ..

ولم تكن هذه هى كل الاعلانات التى جمعها تيد بل كانت لديه منها مجموعة طريفة بعضها يبشر الناس بأن فى امكانهم ان يتعلموا العزف على البيانو فى ثلاثة ايام .. وبعضها يدعو القراء ليحشو جيوبهم بالمال .. وبعضها .. الخ ..

وكان من بينها اعلان هذا نصه :

« بصمات الاصابع ـ مطلوب شرطة سريون ـ الربح مضمون » وبعد ذلك كلام طويل عن ان هذه هى المهنة التى يصبو اليها الناس وانه يبشر بالربح الجزيل فضـــلا عمـــا فيها من تسلية واثارة للاعصاب ومغامرات رائعة .. فى هذه المهنة تصبح بطل الساعه .. تصبح عدو المجرمين وحلال العقد والالغاز .. انها مهنة تمهد لك الاتصال بكبار الاغنياء .. وقد يقتضى منك العمل ان تسافر الى اقصى البلاد ..

وهتف تيد يقول :

ـ بودى ان اصبح شرطيا سريا وان اقبض على المجرمين ..

وقال بابيت :

ـ اولى بهؤلاء الناس ان يوجهوا جهودهم الى الانتـــاج .. فالبلاد فى حاجة اليه اكثر مما هى فى حاجـة الى رجال البوليس السرى ..

ثم اردف يقول :

ـ حقا لقد برع اصحاب مدارس المراسلات فى فن الاعلان .. ولكن لا تنس يـ تيد انهم يبالغون فى بعض الاحيان . ولست ادرى اذا كان فى وسعهم ان يحققوا هذه الوعود التى يمنون بها الناس ام لا انى معك يا بنى ان الجامعات والمدارس العالية تضيع اوقات الطلبه بحشو ادمغتهم بسخافات كثيرة ليست لها اى فائدة عملية . وان كنت بطبيعة الحال لا اصرح بهذا الرأى على ملأ من الناس . اما مدارس المراسلات فهى فيما اعتقد تقدم الى الطالب اللقمـة سائغة . تقدم اليه العلم مركزا . يقـــولون ان امريكا هى بلاد الاختراعات . وفى رأيى ان مدارس المراسلات هى اهم اخـــتراع اخرجته امريكا . وعلى الذين يدرسون تاريخ بلادنا ان يوجهـوا

التفاتاتهم الى مدارس المراسلات . فامريكا ليست ام الاختراعات وام التحريم وام الديموقراطية وانما هى ايضا ام التعليم بالمراسلة .. وهذه ناحية من التفكير الامريكى ينبغى العنـــاية بها .. ان مدارس المراسلات جديرة بالاعجاب الشديد .

ـ ان مدارس المراسلات جديرة بان تمحى .

وكانت مسز بابيت هى التى القت هذه القنبلة !

ثم استرسلت تقول :

ـ ان هذه المدارس تعلم الشبان الغرور وتقدم اليهم قشورا تافهة وتبث فى نفوسهم الاعتقاد بانهم اصبحوا من كبار العلماء .

فتحول اليها بابيت قائلا :

ـ كلام فارغ ! اتعتقدين ان الطالب فى الجامعة يتعلم اكثر مما يتلقاه عن طريق مدارس المراسلات لانه يخرج فى كل صباح ويذهب الى الجامعة ويجلس على مقعد وثير ؟ اننى خريج الجامعة ومع ذلك فانى لم اتعلم فيها شيئا . ليس معنى هذا انى حمار لا افهم ولكنى اردت ان اقول .. ومع ذلك اسمعى .. هناك اعتراض يمكن ان يوجه الى مدارس المراسلات لانها تغرى العمال وصغار الموظفين بالتعلم فيمقتون مهنهم ويتطلعون الى ما هو ارفع منها .

فقال تيد

ـ ما رأيك يا ابى فى ان اسافر الى الصين واتعلم الميكانيكيات بالمراسلة ؟..

ـ كلا يا بنى فان الانســان يفخر حين يقول انه حاصل عـلى شهادة بكالوريوس من جامعة كذا .. ولكنه لن يفخر حين يقول انه حاصل على شهادة لا قيمة لها من مدارس المراسلات .

ـ هذا صحيح .. اوه .. لقــــد نسيت الفتيـــات اللاتى ساصحبهن الى معهد الغناء ولقد ازف الوقت .

ـ ولكنك لم تنجز واجباتك المدرسية ؟

ـ سانجزها فى الصباح بمجرد استيقاظى من النوم .

ـ فليكن .

فى خلال الستين يوما الماضية . زعق بابيت فى ابنه ستين مرة قائلا

ـ « كلا .. انك لن تنجزها فى الصباح !.. بل ستنجزها الآن . على الفور .. لا تخرج الا اذا انجزتها !.. »

اما فى هذه الليلة فلم يشأ بابيت ان يردد جملته المعهودة وانما قال فى نفسه :

ـ فلاتركه يفرج عن نفسه !.

وذكر الاتفاق الذي بينه وبين ريزلنج على السفر سرا الى صين ..

- ٤ -

التفت بابيت الى زوجته وقال :

ـ ان تيد ولد طيب .

ـ طبعا .. انه ولد طيب .

ـ ولكن من هؤلاء الفتيات ؛ اهن محتشمات فاضلات ؟

ـ لا ادرى .. ان تيد كتوم لا يحدثنى بشيء .. شان ابناء وبنات هذا الجيل العجيب ، ولم يكن من عادتى ان اكتم اى شيء عن امى وابى .. ارجو ان يكن فتيات شريفات .. ان تيد لم يعد فلاما ولست احب ان يختلط بفتيات سيئات السمعة .

وقالت مسز بابيت فى صوت منخفض وقد تخضب وجهها احمرارا :

جورج .. الا ترى ان الوقت قد حان لكى تنتحى بتيد جانبا وتتحدث اليه عن .. عن « الاشياء » ؟ .

ـ لا ادرى .. ولكنى اعتقد يا ميرا اننا بهذا الحديث نعلم تيد الـ .. الاشياء التى يجهلها .. ومع ذلك فالمشكلة عويصة وساستشير الدكتور ليتل فيلد فى هذا الامر .

ان ابى يشاطرك رايك فهو يقول ان تعليم هذه الاشياء ليس من الاحتشام فى شيء

ـ حقا ! . هذا رايه .. اسمعى ، عندما يقول ابوك المحترم مستر هنرى تومسون ان الشمس تشرق من الشرق فساقول انا انها تشرق من الغرب وما دام ابوك لا يوافق على ان نعلم اطفالنا هذه الاشياء فساعلمها لتيد .. وساذكر له الاسباب التى تدعونى الى ان اعيش عيشة شريفة بعيدة عن النساء .

ـ حقا ..؟ اف نيتك ان تعلمه هذه الاشياء ..؟ ولكن متى ..؟

ـ متى ..؟ متى ..؟ ما معنى احراجى بهذه الاسئلة ..؟ متى .. وكيف واين ..؟ ولماذا ..؟ عيب المراة انها شديدة التعجل .. ساكلمه عندما تجيء المناسبة .. اهذا صوت تينكا ..؟ اولى بك ان تذهبى اليها لترغميها على النوم بدل اثارتى بهذه الاسئلة .

وتركها وخرج الى الشرفة وقال فى نفسه :

ـ نعم يجب أن أسافر الى مين لاتخلص من هــــذه الهموم والمتاعب .

وذكر صاحبه بول ريزلنج والاتفاق المعقود بينهما . ثم ارتد بذهنه الى ايام الشباب والى الفتيات اللائى تعرف بهن وهو طالب فى الجامعة .

ان ميرا تومسون هى احدى قريبات بول وكانت فى ذلك العهد قادمة من الارياف .. ووجد فيها بابيت ما يرضى كبرياءه حين كانت تهزأ به زيلا صديقة بول .. اذا تحدث بابيت عن مطامعه ومطامحه وانه سيصبح فى يوم من الايام محافظا للمدينة هزأت به زيلا وسخرت منه . أما ميرا فكانت على العكس من ذلك تنصت اليه فى اهتمام وفى اعجاب .

وفى ذات يوم دخل عليها فالفاها تبكى لان زيلا اهانتها . واسندت ميرا راسها الى كتفه وجعلت تفضى اليه . وتأثرت بابيت ومال فوقها فقبل جبينها محاولا أن يسرى عنها . فرفعت راسها وقالت :

ـ الآن وقد اصبحنا خطيبين فهل نتزوج فورا ام ننتظر ؟ .

اصبحنا خطيبين .. لا شعر بابيت بالخوف وتثلجت اطرافه ولكنه لم يجرؤ على ان يكاشفها بانه لا يحبها وانه انما قبلها بدافع من العطف . وغمغم كلمات غير مفهومة عن الانتظار وضرورة الانتظار ثم تركها وهام على وجهه فى الطرقات ثلاث ساعات .. وفى خلال الشهر التالى هم بأن يكاشفها بالحقيقة . ولكنه كان يشعر بالارتياح فى كل مرة ترتمى فيها على صدره ..

ولما تم زواجهما صارت له نعم الزوجة الكاملة : مخلصة .. موفورة النشاط .. محبة لبيتها ..

وتنهد بابيت وقال فى نفسه :

ـ انها لا تعيش الا لاجلى ولاجل الاولاد .. وما يدرينى ان فى نفسها هموما عميقة ولكنها تكتم ولا تكاشفنى بها .. مسكينة .. اذا كانت لدى همومى فى المكتب فلديها همومها فى البيت .

ورجع الى القاعة واقترب من زوجته ومر بأصابعه على شعرها فى رفق فرفعت اليه بصرها فى دهشة واستغراب ! .

الفصل السابع

- ١ -

صعد بابيت الى الطابق الاعلى ليرتدى ثيابه المنزلية ثم رجع وفى يده تفاحة وهو يقول :

ـ تفاحة على الريق تبعد الطبيب من البيت والطريق!
فقالت مسز بابيت
ـ هذا صحيح . ولكننا الآن فى ساعة النوم لا على الريق .
ـ ولو ... ان التفاح ينظم المعدة . وعيب المرأة انها لا تحب النظام .
ـ انني ..
ـ انك دائما تاكلين بين الوجبات .
جورج ! .. خبرني .. هل تناولت اليوم غذاء خفيفا كما كنت تنوى ؟. لقد تناولت انا غذاء خفيفا .
ولم يكن بابيت يتوقع هذا الهجوم المفاجىء فقال .
ـ ربما لم يكن غدائى خفيفا . ولكنى كنت اتغدى مع بول فلم يكن هنالك مجال لتنفيذ هذا النضـــال ومهما يكن من الامر فانا الشخص الوحيد فى الاسرة الذى يحب ان يتناول الاطعمة الحقيقية .. اني .. لقد اقنعت عن التدخين
ثم اردف عن الفور مغيرا مجرى الحديث :
ـ اليوم اظهرت سلطتى بصفتى مديرا . سالنى جراف ان ازيد مرتبه فصحت به : « ستان .. انك .. » وزجرته زجـــرا عنيفا .
ـ هذا اذن هو السبب فيما يبدو عليك اليوم من قلق وانزعاج .
ـ ان الجو جميل فى هذه الايام . وبودى ان اتريض بالسيارة فى احدى الليالى .!
فقالت زوجته :
ـ ستكون رياضة جميلة .. فمتى نذهب .؟
ولم يجرؤ على النظر اليها حتى لا تكتشف انه يريد ان يذهب منفردا دون ان يصحبه احد من الاسرة .
ونهض فى تكسل وقال .
ـ بدا النعاس يراودنى .
وصعد الى مخدعه .

ـ ٢ ـ

عندما دخل بابيت الى الحمام قبيل النوم كان منشرح الخاطر باسم الثغر وقد ذهبت همومه واحزانه اذ كان يفكر فى الرحلة التى ينوى القيام بها الى مين .
وافلتت الصابونة من يده وسقطت فى حوض الاســـتحمام ، فجعل يخاطبها ويناديها قائلا :

ـ تعالى هنا ايتها الصابونة الماكرة ! ماذا .؟ اتريدين ان تهربي مني .! ساغوص وراءك الى الاعماق . تعالى ايتها الشـــــيطانة الخبيثة .!

ولما تناول منشفته ليجفف جسمه لمح فيها ثقبا ، فما كان منه الا ان دس اصبعه في الثقب واخذ يوسعه . ولما شرع يرتدي ثيابه جعل يصفر . وهكذا الطرب يستخفه في ذلك الوقت الى درجة لم يعهدها في نفسه من قبل .

ولما صعد الى فراشه سحب الغطاء على بدنه فالفى قدمه بارزة فلعن الخادمة التي لا تحسن تنسيق الاغطية . ولعن مسز بابيت لانها لا تراقب الخادمة .

وراوده النعاس . ولما كاد يغلبه انتبه فجاة على دوى سيارة في حديقة مستر دوبلبرو . وسكن المحـــــرك . وصفقت ابواب السيارة ثم ابواب الجراج . وبعد ذلك ساد السكون .

فتنهد بابيت وقال في نفسه :

ـ ليت شعري لماذا لا ينام مبكرا .؟!

واسلم نفسه الى الكرى .!

- ٣ -

في هذه اللحظة في مدينة زينيت كان هوراس ابديك يغــازل لوســل ماك كيغو . وهوراس مشهور في المدينة بانه مغازل جرىء لا يخاف الازواج وغضباتهم . وله في الاستيلاء على القلوب مناورات بارعة .

وفي هذه اللحظة في مدينة زينيت كان احد مهربي الـكوكايين يغازل احدى بنات الهوى فارادت ان تمزح معه وافرغت كاسها على ثيابه فما كان منه الا ان اخرج مسدسه وقتلها .

وفي هذه اللحظة في مدينة زينيت يجلس رجلان في معملهمـــا وقد مضت عليهما ست وثلاثون ساعة وهما يقومان بتجربة خاصة بصنع المطاط الصناعي .

وفي هذه اللحظة في مدينة زينيت كان اربعة من الســـكارى يتناقشون في اضراب عمال مناجم الفحم .. وهل سينال العمال مطالبهم ؟ ام يتخذلون امام عناد اصحاب المناجم .؟

وفي هذه اللحظة في مدينة زينت وصل رجل من اهل الريف . رجل لم يركب في حياته سيارة ولم ير حوضـــا للاستحمام ولم يقرا كتابا عدا الانجيل . وكان يعتقد ان الارض مسطحة وان اوروبا

اسطورة خرافية وان الولايات المتحدة بلد ديمقراطية .

وفى هذه اللحظة فى مدينة ريتشموند كانت مصانع السلاح والذخيرة تعمل بلا انقطاع . وعلى قيد خطوات منها رجل يدعو الى السلم ونبذ الحرب .

وفى هذه اللحظة فى مدينة زينيت كان مستر ديك مانديج يوشك ان يفرغ من احدى عظاته القيمة . ومستر ماندى هو المبشر الامريكى الشهير والمسيحى المتسامح المؤمن الذى كان من قبل ملاكما محترفا .

ولم يربح مستر ماندى من الملاكمة الا انفا مهشمة وذخيرة لا تفنى من اقذع الفاظ السباب التى كان يحيى بها خصمه والجمهور الساخط الذى خسر امواله بالمراهنة فى صالحه .. فهجر الملاكمة اذ راى ان خدمة الرب اجدى عليه بالربح من الملاكمة . والواقع انه جمع من التبشير ثروة كبيرة . وقد اذاع بعض مريديه نشرة فى الصحف قالوا فيها :

« لقد اثبت المحترم مستر ماندى المبشر الامين ان فى وسعه ان يحرر الارواح من الخطايا والآثام . وبعظاته النفيسة وتبشيره المنطوى على الايمان والاخلاص امكنه ان يرد الى الهدى اكثر من ربع مليون من الضالين الخاطئين مكتفيا بان يتقاضى من الواحد منهم عشرة دولارات فياله من ثمن بخس يدفعه المرء فى سبيل هداية الروح والقلب .. »

وعندما هبط المبشر الامين مدينة زينيت خطب مستر جورج . ف. بابيت فى نادى بوستر داعيا الى تأييده ودعوته الى القاء بعض العظات فى الاندية والجمعيات المختلفة . واعترض بعض رجال الاعمال على الاهتمام بالمبشر الامين ووصفوه بالدعى الدجال . ولكن سكرتير الغرفة التجارية قضى على هذه المعارضة بكلمة واحدة اذ قال ان مستر ماندى قد استطاع بعظاته ان يصرف العمال عن المطالبة بزيادة الاجور والتفكير فى الاضراب الى التفكير فى الدين والمثل الاعلى وما ينتظرهم فى العالم الآخر من نعم عظيمة لا تقاس الى جانبها زيادة الاجور . ففى دعوة المبشر الامين وتأييده القضاء على العصابات .. وكانت هذه الكلمة فصل الخطاب اذ لقى المبشر الامين تأييدا جماعيا من رجال الاعمال فى مدينة زينيت . فاكتتبوا فيما بينهم باربعين الف دولار ارسلوها الى مستر ماندى اجرا له على دعوة الناس الى الهدى والايمان .

وفى هذه اللحظة كان المبشر الامين يلقى عظته وهو اشد ايمانا مما كان لشعوره بان فى جيبه اربعين الف دولار .

وكان يقول باسلوبه الفريد الذى تعلمه من الملاكمة :

ـ فى هذه المدينة جماعة من البلهاء الذين يدعون العلم يزعمون انى دجال دعى .. هؤلاء الكذابون المنافقون ليسوا علماء ولكنهم سفلة ورعاع واوغاد .! انهم عصابة من المهرجين السخفاء .! انهم لصوص .! انهم مجرمون .! ولو انى رايت احدهم الآن لهشمت انفه وفقات عينه وارسلت الدم من وجهه .. انهم لا يؤمنون بالله .!

« وفى هذه المدينة جماعة من الشبان المغرورين المهووسين الذين لا هم لهم الا مغازلة الفتيات وياليتهم يحسنون المغازلة كما كنا ـ أقصد كما يحسنها بعض الناس ـ اوغاد .. حثالة . اسفل من حملت الارض .. امهاتهم غافلات عن تربيتهم ، منصرفات الى العشاق .. وآباؤهم منصرفون الى العشيقات .! فاين هؤلاء الاوغاد .؟ افيكم من يرميني بالتدجيل .؟ والله لو جرؤ احدكم على ان يقول ذلك فى مواجهتى لدققت راسه ولأنشبت اصابعى فى عنقه ..! هيه ..؟ اليس فيكم معارض ..؟ اليس فيكم منازل .؟ لقد تبعوا كالانذال الادنياء .! فلا تصغوا ايها الناس الى القاذورات التى تتدفق من افواههم وانما انصتوا الى كلمة الرب .. كلمة الرحمة والحنان »

- ٤ -

فى هذه اللحظة فى مدينة زينيت كان السياسى الخرب الذمة جاك اوفات وصديقه هنرى تومسون فى خلوة يتداولان .

قال اوفات :

ـ المهم أن نغرى صهرك الابله بابيت بالمساهمة معنا .. ان بابيت معروف بالشرف والاستقامة . فاذا ساهم معنا سترنا وظن الناس ان صفقاتنا محترمة شريفة .. وانى لأسائل نفسى عن اليوم الذى لا بد ان تنكشف فيه الفضيحة .. سنظل فى امان ما دام جورج بابيت وامثاله يحموننا باستقامتهم .. اسمع يا هانك .. ان المدينة الآن تقدم الينا بصفتى سياسيا عظيما كل ما تشتهى النفس . ولكنها ستنقلب علينا اذا ما اثارها ضدنا هذا الاشتراكى المجنون سينيكا دون . فبقاء سينيكا فى المدينة خطر علينا . فاما هو واما نحن .

وفرك اوقات كفيه سرورا وقال ؟
ـ السياسي يا سريزى هانك رجل لا يطمع فى شىء الا ظفر به نفوذه يملأ خزائنه بالمال ومعدته باشهى الطعام .!
وفى هذه اللحظة فى مدينة زنيث كان هناك نحو اربعمائة الف شخص يغطون فى النوم . وفى اطراف المدينة شاب بحث عن عمل ستة شهور كاملة فلما اعياه البحث فتح صنبور الغاز وانتحر هو بزوجته وطفله الرضيع .

وفى هذه اللحظة فى مدينة زنيث كان الشاعر تويد ملام ينظم قصيدة يتحدث فيها عن جمال الحياة وسحرها الخالد .!

الفصل الثامن

ـ ١ ـ

اعظم حادث فى تاريخ بابيت فى هذا الربيع شراؤه سرا منطقة كبيرة من الاراضى والبيوت لحساب بعض موظفى الحكومة المختصين بالمواصلات .. وذلك قبل ان يعلنوا بصفة رسمية توسيع الشوارع فى المنطقة التى تم فيها الشراء . فاذا ما شرع هؤلاء الموظفون (بصفتهم ممثلى الحكومة) فى نزع ملكية الاراضى فسينزعونها من انفسهم وقدروا لها ثمنا مرتفعا دون ان يدرى احد انهم اصحابها اذ يتسترون وراء بابيت .

اما الحادث الثانى الاعظم فى تاريخه فهو المادبة التى انتوى ان يقيمها والتى وصفها لزوجته بانها ليست عملا اجتماعيا فحسب وانما وسيلة الاتصال بنفر من اذكياء الرجا والنساء .

كان من عادة بابيت اذا دعا الى مائدته اربعة اشخاص ان يفكر فى كيفية تنسيق المائدة يومين على الاقل .. فمابالك اذا دعا اثنى عشر شخصا ! فى هذه الحالة تراه مذهولا مدهوشا اذا خاطبته لم يسمع واذا سالته لم يجب واذا تكلم ففى عبارات مقتضبة لا معنى لها .
وفى خلال اسبوعين كاملين جعل بابيت وزوجته يفكران .. ويتجادلان .. ويغيران الف مرة فى قائمة المدعوين .

ـ انى أرى أن ندعو الشاعر شان فرنيك .. انه رجل مدهش يربح من بضعة سطور ١٥ الف دولار فى العام .

فقالت زوجته : وما رايك فى دعوة هوارد ليتل فيلد .؟ لقد أنباتنى أونيس منذ ايام ان اباها يتكلم ثلاث لغات .

ـ وأى عجب فى هذا .؟ انى انا أيضا اتكلم ثلاث لغات " اللغة الانجليزية ، ولغة البوكر ولغة الباسبول .!

ـ لا يليق بك ان تمزح فى اوان الجد .! ما اعظم ان يتكلم المرء ثلاث لغات .. ولكن الشيء الذى يدهشنى اصرارك على دعوة اورفيل جونز . وسائر المدعوين ليسوا من طبقته .

ـ ان لاورفيل مستقبلا مبشرا .

ـ انى اعرف ذلك . ولكن لا تنسى انه صاحب مغسل للثياب .

ـ لا انكر ان المغسل لا يتفق قدرا مع الشعر او العقارات .، ولكن أورفى مع هذا رجل موسر . وهو فضلا عن هذا واسع الاطلاع .. تصورى انه يعرف كل ما يختص بالحدائق والاشجار ! وحتى اسماء النباتات يعرفها باللغة اللاتينية .! وفضلا عن هذا فقد دعانا جونز من قبل فيجب ان ندعوه بدورنا . وما دمنا قد دعونا نفرا من رجال الفنون والآداب فلندع الى جانبهم رجلا من المولعين بالحدائق ليكون الحديث بينهم موزعا .

فقالت مسز بابيت :

ـ وبهذه المناسبة يا عزيزى دعنى انبهك الى انه لا يليق بربة الدار ان يحتكر الحديث لنفسه .. افسح لمدعويك فرصة يتبادلون فيها الحديث .

ـ حقا .؟ اتريدين ان تنبهينى الى ذلك .! انا احتكر الحديث لنفسى .: طبعا اننى لست دكتورا فى الفلسفة مثل ليتل فيلد .. ولست شاعرا مثل شام فرنيك .. ولكنى محدث بارع .! تصورى ان شام فرنيك جاءنى فى الاسبوع الماضى فى النادى وسألنى رأيى فى سندات سبرينجفيلد .. وهل تدرين من الذى اجابه واشبع غلته .؟ انا .: نعم انا .! وكان سعيدا بان ينصت الى .. انى اعرف واجبى كرب للدار .. انى اعرف واجبى بصفتى مضيف .. انى ..

- ٢ -

فى صباح يوم المأدبة كانت مسز بابيت حادة الخلق عصبية المزاج لا تستقر على حال .

وقالت لزوجها :

ـ اسمع يا جورج .. يجب ان تعود الليلة فى وقت مبكر ليتسنى لك ان ترتدى ثيابك .

ـ هيه . لقد قرأت الآن فى الصحف ان المجتمع الكنائسى قرر ان يقوم بدعاية واسعة النطاق ضد الاشتراكية . وهذا فى رأيى . . .

ـ جورج ! اسمعت ما قلت ؛ يجب أن تعود الليـــلة مبكرا لترتدى ثيابك . . !

ـ ارتدى ثيابى ؟ يا للشيطان ! ولكنى الآن مرتد ثيابى فعلا ! احسبت انى ساذهب الى عملى فى قميص النوم !

ـ لا يليق يا جورج ان تردد هذه السخافات أمام الاولاد ! يجب ان ترتدى جاكتة العشاء

ـ لعلك تقصدين الجاكتة ذات الذيل الطويل الشبيهة باذناب القرود كما يصنعها ابوك وجدك . . صدقينى ان هذه الجاكتة هى شر اختراع اخرجته امريكا . . انها . . .

واستمر بابيت ثلاث دقائق كاملة يطلق لسانه فى جاكتة العشاء وينعتها باقبح الالفاظ . واختتم محاضرته بقوله :

ـ فى الواقع لست أدرى اذا كنت سارتديها ام لا .

ولكنه نطق العبارة فى لهجة تدل على انه سيرتديها .

وقالت مسز بابيت :

ـ اياك ان تنسى ياجورج ان تمر بالحلوانى فيكيا فى عودتك الى المنزل لتاتى معك بالدندورمه . فان عربة التوزيع معطوبة واخشى ان يتاخروا فى أرسالها عن الموعد المحدد .

ـ حسنا ! ولكنك اخبرتنى بهذا قبل الفطور !

ـ هذا لانى لااريدك ان تنسى . . ساقضى سحابة النهار منهمكة فى تدريب الخادمة الاضافية التى اتينا بها .

ـ كلام فارغ ! ما الذى يدعوك الى استئجار فتاة اضافية ؟ ان ماتيلدا تستطيع بكل تاكيد ان . .

ـ وسانهمك فى شراء الازهار وتنسيقها واعداد اللوز المملح وتقديم الطعام للأولاد فى المطبخ . ولهذا لا مفر لى من الاعتماد عليك فى الذهاب الى فيكيا لاحضار الدندورمه فى عودتك الى البيت

ـ فهمت ! ساذهب وساتى بها معى !

ـ ليس عليك الا ان تدخل الى المحل وتقول انك تريدالدندورمه التى اوصت عليها مسز بابيت بالامس .

وفى الساعة العاشرة اتصلت به زوجته تليفونيا واوصته بأن لاينسى الدندورمه !

وعندما رد سماعة التليفون الى مكانها اخذ يسائل نفسه عما اذا كان لمآدب العشاء فائدة تعادل كل مايصحبها من عنت ومشقة؟ ولكنه نسى متاعبه وهمومه فى غضون المغامرة المثيرة التى قام

بها لشراء بضع زجاجات من الخمور المهربة . اذ اضطر أن يغشى بسيارته حيا من الاحياء الحقيرة على مرأى من رجال البوليس الذين كانوا كلما ارسلوا اليه بصرهم تصبب جبينه عرقا . كما قابل جماعة من رجال العصابات الذين جعلوا يتفرسون فيه فى شك وريبة وهو يعلم ان المسدس هو الحكم الوحيد عندهم فى حالة الشك ! ولكنهم اقتنعوا اخيرا بان الذى اوفده اليهم هو جاك اوفات السياسي المشهور الذى تؤيده العصابات اثناء الانتخابات فيحميها بعد انتخابه ضد سطوة القانون ـ فتقدموا اليه ماطلب من زجاجات الخمر بسعر الزجاجة الواحدة خمسة عشر دولارا . فدفع بابيت الثمن صاغرا بعد ان اعترض اكثر من مرة .

وما دخل بابيت داره حتى ابتدرته زوجته بقولها :
ـ جورج .. هل نسيت أن تذهب الى فيكيا لتحضر الدندورمه ؟
ـ اسمعى .. هل النسيان من عادتى ؟
ـ نعم غالبا ..!
ـ بل نادرا .. ومع ذلك فانى لااحب ان اذهب الى محل فيكيا مرة اخرى لانظر الى الفتيات الشبيهات بالعاريات وهن يطلين الشفاه بالطلاء الاحمر وينظرن الى فى جراة وقحة .

ـ هذا لايليق بك ياجورج .! لقد لاحظت منذ زمن طويل انك تكره ان تنظر الى الفتيات الجميلات .
وصعد بابيت الى مخدعه فابدل ثيابه وارتدى جاكتة العشاء ووقف امام المرآة يتأمل هيئته ويقول :
ـ الحق انى لست قبيح الصورة ولست مسنا .

وغادر مخدعه يسير فى رشاقه ليمزج الكوكتيل . ولما خذت عينه الانواع المختلفة من السكاكين والملاعق والشوك والاواني والاطباق . ولما راى زوجته وماتيلدا والخادمه الاضافية رائحات غاديات امتلأت نفسه زهوا وفخارا .

وبعد ان فرغ من مزج الكوكتيل واعداده صب لنفسه كأسا صغيرة ليتذوقها وهز رأسه فى اعجاب وقال فى نفسه :
ـ الحق انه لذيذ الطعم .؟
وتذوقه مرة ثانية وثالثة ورابعة ..
ثم أخذ يطوف بقاعة الطعام ويزيح الاكواب من مواضعها مسافة لاتزيد على النصف بوصة زيادة فى حسن التنسيق .؟ وفاجاته مسز بابيت وهو يفعل ذلك فصاحت به محذرة :
ـ اياك ان تلمس شيئا .!

ـ بل سالمس كل شيء .! الست السيد هنا .!

فقد سرى في أوصاله اثر الكوكتيل وشعر بمكانته وقدوه ولم يعد يخشى شيئا . وأراد ان يؤكد سلطته فقال مخاطبا ماتيلدا :

ـ اسمعى .. ساضع اوانى الكوكتيل في الثلاجة فاياك ان تقلبيها .

ـ نعم .

ـ واياك ان تضعى شيئا على الرف الاعلى

ـ نعم .

ـ واياك ان ..

ودار راسه وخيل اليه أن صوته يصدر من مكان سحيق؟ ؟ وصاح في لهجة آمرة :

ـ نعم اياك ان ..

وأسرع الى قاعة الاستقبال دون أن يكمل جملته وهو يقول في نفسـه :

ـ ترى هل استطيع ان اغرى ميرا وليتل فيلد بالذهاب معنا بعد العشاء الى مكان فيه مايثير الاعصاب .!

ولما انتظم المدعوون في قاعة الاستقبال (وقد تاخر بعضهم حتما) قال بابيت يخاطبهم :

ـ اسمعواايها الاصدقاء .. هل انتم على استعداد لخرق القانون ..؟

فقال الشاعر شان فرنيك مجيبا :

ـ اسمع باجورج .. انى من أنصار القانون ولكنى اعرف ان فيرج باتس مجرم عتيق وهو اكبر منى واقوى . فاذا حاول ان يرغمنى على خرق القانون معه فاظن انه لن يكون في وسعى ان أخالفه ..

فضحك جانش وقال :

ـ انى على استعداد لارغامك يا

فقال فرينك مسترسلا :

ـ مادام فيرج وجورج يصران على ذلك فسانقل سيارتى الى الجانب الايسر من الطريق لان هذه فيما اعتقد هى الجريمةالتى يشيران اليها ..!

وضج الحاضرون بالضحك وقال بابيت :

ـ كيف استنتجت ذلك ياشام ؟ على اية حال انتظر حتىآتيكم بمفاتيح السيارات يا!

ورجع بعد برهة يحمل أوانى الكوكتيل .!
وهتف الحاضرون يرحبون به .. ووقف فرنيك فالقى قصيدة صغيرة اهاب فيها بالحاضرين ان يشربوا ويشربوا ليروا فى نشوتهم أعذب الاحلام .

والواقع انه نظم قصيدة فى اليوم السابق يدعو فيها الى الاقلاع عن الخمر لان فى الاستمساك بالفضيلة مثل اعلى وفى المثل الاعلى اعذب الاحلام .
والقصيدة التى نظمها بالامس منددا بالخمر هى بعينها القصيدة التى القاها الآن محبذا الخمر .! مع فرق واحد هو قوله «اشربوا الخمر » بدلا من قوله « لاتشربوا الخمر » .!

وفى اثناء الشراب اخذوا يتجادلون فى عل من الاصوب تحريم الخمر أم اباحتها . وقال بعضهم ان فى التحريم اعتداء على الحرية الشخصية . وقال آخرون بل ان فيه حماية للانتاج الوطنى بانقاذ العمال من ويلات الخمر . حتى تتوافر قواهم على الانتاج .
والقى الدكتور هوارد ليتل فيلد كلمة كانت فصل الخطاب اذ قال :
ـ ان فى التحريم انتهاكا لحرمة الحريات الشخصية وفى الاباحة افسادا لقدرة العمال على الانتاج . فلو انى كنت مشرعا لسننت قانونا لا اتعرض فيه للخمر وانما اتعرض فيه للشاربين انفسهم . « كان ممكنا ان يسن قانون يحمى العامل ضد الخمر فلا يتاح له تناولها . وفى الوقت نفسه يضمن حقوق الانسان ولا يعتدى على الحرية الشخصية ، وذلك بأن يبيح الخمر لامثالنا !.

وهتف الحاضرون اعجابا بهذه النظرية الفذة !.
ثم دخلت ماتيلدا تعلمهم بان مائدة العشاء اعدت .

- ٣ -

لم تكن الصلة بين الحاضرين وبين الشاعر فرنيك تعدو صلة الجوار على اعتبار أنه أكثر الجيران استعارة لادوات تنسيق الحديقة او تشذيب الاشجار فلم يكونوا يعرفون من امره الا أنه شاعر عظيم يعيش فى جو من الخيال والغموض . ولكنه الليلة كشفهم من نفسه على ما لم يخطر ببالهم اذ قال :
ـ هناك مشكلة عويصة لا اجد لها حلا !. لقد عهدت الى شركة سيارات « زيكو » بأن أنظم بعض الابيات اعلانا عن سياراتها . ولم أوفق حتى هذه اللحظة الى شىء يعول عليه .. وربما ظننتم ان

الاشعار العاطفية من أمثال : « قبليني فاني احبك » . او «ماأجمل اليوم الذى امضيه بين الاطفال » ربما ظننتم ان هذه القصائد هى اشق انواع الشعر . ولكن هذا خطأ . فان ترديد العواطف فى القصائد العاطفية عادة لاصعوبة فيهاولاسبيل الى الخطأفى تناولها. اما القصائد الصناعية فتستعصى على أكثر الشعراء مراناً . اتعرفون من هو الشاعر الأمريكى العبقرى ؟. انى اجهل اسمه ايضا . ولكنى اعرف على الأقل انه ذلك الشـــاعر الذى نظم القصيدة التى تعلن بها شركة التبغ عن سجائر « البرنس البرت »

فقالت مسز سوانسون :

ــ كنت احسب الشعراء يعيشون فى جو من الخيال .

فضحك فرنيك وقال :

ــ ان الشاعر هو ابعد الناس عن الخيال والغموض .. ان قرض الشعر اشبه بعمل آلى لايقل فى اضطراده واتساقه عن نقرات الاصابع على حروف الآلة الكاتبة . فهل لدى احدكم اية فكرة عن اعلان عن سيارات « زيكو » ؟.

وتبادل الحاضرون نظرات الاسف والاعتذار اذ هل يتاح لهم ماعجز عنه الشاعر العظيم !

الفصــل التــاسع

- ١ -

كان بابيت شديد الولع باصدقائه ولا ينفك يقول لهذا :«عليك بهذا الدخوت » ولا ينفك يقول للثانى « ان هذه الكريمة لذيذة جداً » ولكن اثر الكوكتيل مالبث أن تبدد ففقد جذله ومرحه وعراه الوجوم . وضاعف من الاكتئاب الذى يسود المادبة ما ثار بين الزوجين سوانسون من مشاحنة .

يعد الزوجان سوانسون اصدق مثال للزوجين المتنابذين . فكل منهما لايألو جهدا فى انتقاد صاحبه ولا يقتصدان فى ذلك حتى امام الاغراب .

والتفت ادى سوانسون الى بابيت وقال :

ــ اسمع ياجورج .. مارأيك فى هذا الفستان القبيح الذى ترتديه لوتيا .؟ ألا تعتقد انه اقبح ماوقعت عليه العين ..؟

فقال بابيت :

ــ ماذا دهاك ياادى ..؟ انى اراه فستانا جميلا .

وقالت مسز بابيت :

ـ انه فستان جميل يامستر سوانسون .
فقالت لوتيا في غضب :
ـ ارأيت ايها السيد المتالق الخبير في الازياء .!
فقال سوانسون :
ـ فليكن .. اني على الاقل خبير في الثمن الذي ادفع .. ما الداعي الى شرائك فستانا جديدا ودلابك غاص بالفساتين..؟ الا ترين في هذا اسرافا لامبرر له .؟
وقطع بابيت هذا التنابذ بقوله :
ـ الم يذق هذا اللون باادى .؟
ولكن كلماته لم تهدىء ثورة التنابذ . فما لبث ان رجع الزوجان الى تبادل هذه العبارات وامثالها .

وشعر بابيت بالضجر والسأمة وكره جميع المدعوين ورأى فيهم قوما فارغي الرؤوس . قوما لايصلحون لشيء .. في مظهرهم مايدل على انهم من عظام الناس . فاذا ماخبرهم المرء انكشفت له من نفوسهم نواحي تدل على الحقاره والضآلة . فهذا شاعر يحسبه الناس يعيش في جو من الخيال والاحلام فاذا به كالآلات الميكانيكية في انتاجه .! وما الوحي الذي يهبط عليه الا اكذوبة ملفقة .. وهؤلاء جماعة من عمالقة المدنية وجبابرتها الذين يقبضون بيد من حديد على زمام الصناعة فيها . يحسبهم الناس متزنين وقورين فاذا بهم لايتحرجون في حديثهم عن استعمال لهجات الرعاع وترديد نكات الصعاليك ..!

ولولا واجبات المجاملة لهب بابيت واقفا وانطلق هاربا ليلوذ بمخدعه .

ولما فرغوا من الطعام انتقلوا الى قاعة الاستقبال واقترح احدهم ان يلعبوا البريدج . ولكن بابيت لم يجد في اللعبة (على الرغم من محالفة الحظ له) مايثير اهتمامه .

بل حتى لوتيا سوانسون لم تفلح في اثارة اهتمامه .
لاينكر احد ان مسز سوانسون جميلة مرحة وفيها نزعة الى الاستهتار واذا غازلها أحد لم ترده خائبا . وهي لم تعد الثلاثين وان كانت تبدو اكثر شبابا من هذا .
ولما سئم بابيت اللعب جلس الى جوارها على الاريكة وقال يخاطبها :
ـ انك جميلة الليلة يالوتيا .!
ـ حقا ..؟

ــ ان ادى فيما يلوح حانق عليك .
ــ لقد بدات اسأمه .
ــ اذا سئمته يوما من الايام فاذكرى العم جــورج وانه على استعداد لان يؤنس وحدتك .
ــ اذا هربت يوما من بيتى فــألجأ اليك .
وطابت هذه المغازلة لبابيت فاسترسل يقول :
ــ الم ينبئك احد من قبل بأن لك يدين جميلتين .؟
فنظرت الى يديها وضحكت .
واقترحت مــز فرنيك ان يمضوا السهرة فى استحضـــار الارواح وقالت ان زوجها بارع فى هذا الفن .

وانتظم المدعوون حلقة واطفئت الانوار وامـــك كل واحدبيدى جاره . وشعر بابيت بغبطة وهو قابض على يد مــز سوانـــون وضغط يدها فى شدة ثم خجل من نفسه فربت باصابعه على فخذها ليثبت لها انه لم يرم بضغطته الى شىء معين .

وفجاة سمعوا نقرا على المنضدة فحملقوا فى الشاعر فرنيك .. وعلى الضوء المنبعث من الردهة راوا يديه ساكنتين على ركبتيه .

وصرخت مــز جانش ففزعوا جميعا .
وتكلم الشاعر قائلا :
ــ من تريدون ان استحضر .؟ نابليون .؟ شكسبير .؟
فقالت مــز اورفيل :
ــ استحضر روح دانت .! اتعرف من هو دانت ياأورفى .!؟
وبعد قليل سمع الحاضرون نقرات متتابعة على المنضدة وصفها فرنيك بانها لغة الارواح . واخذ يفسر معنى هذه الخبطات . وكان فحواها تحية من روح دانت الى الحاضرين وسروره بلقائهم .

وكان الحاضرون يتظاهرون بقلة الاكتراث ، وبان الامر لايخرج عن مجرد الدعابة . ولكنهم فى اعماق نفوسهم كانوا يتساءلون عما اذا كان الامر جدا أم مزاحا .
وفى غمرة الظلام ضغط بابيت يد لوتيا . وللمرة الثانية لمس فخذها باصابعه ليطمئنها بانه لايقصد شيئا وانهــا كانت ضغطة بريئة .!

ــ ٤ ــ

عندما اضيئت الانوار التفتت احدى النساء الى زوجهاقائلة
ــ الا ترى ان موعد الانصراف قد حان .؟

وللمرة الاولى فى حياته لم يحاول بابيت ان يستبقى ضيوفه، بل لقد كان على العكس من ذلك يسائل نفسه من لحظة لاخرى :

« لماذا لم ينصرفوا .!! لماذا لم ينصرفوا .؟ » . ولهذا تنفس الصعداء عندما رآهم يتناهضون للقيام . وما اوصد الباب وراءهم حتى تثاءب اكثر من مرة . اما زوجته فكانت على النقيض منه مشرقة الوجه ، واقبلت عليه قائلة :

ـ كانت سهرة بديعة .! اليس كذلك .؟ اذ انهم كانوامبتهجين، الا تظن ذلك .؟

ولم يكن بابيت يظن ذلك ، ولكنه لم يجرؤ على ان يكاشفها برايه حتى لايفسد مسرتها اذ كانت فى هذه اللحظة شبيهة بالاطفال فقال :

ـ طبعا .. انها اجمل مادبة فى هذا العام .

ـ والعشاء .؟ الم يكن الطعام لذيذا .؟ انى اعتقد انالكتاكيت كانت لذيذة جدا .!

طبعا . انى احب الكتاكيت المشوية .

ـ والحساء .؟ الم يكن لذيذا .؟

ـ طبعا .. طبعا . الذ حساء تذوقته فى حياتى .

ولكن كانت تنقص صوته الحماسة . فتفرست زوجته فى وجهه وقالت :

ـ ماذا ؟ يلوح عليك انك لم تبتهج بالمادبة .؟

ـ انا .؟ لقد ابتهجت بكل تاكيد .

جورج .! ماذا بك .؟

ـ اظن انى متعب منهوك القوى .. ارهقت نفسى بالعمل فى المكتب . واظن انى فى حاجة الى القيام برحلة لاصيب شيئا من الراحة .

ـ الم تقل لى اننا سنذهب الى « مين » بعد بضعة اسابيع .؟

ـ هيه ..

وراى ان يغتنم الفرصة ليلقى اليها بما فى نفسه فى شيء من الصراحة فقال :

ـ ميرا .! اظن انه يحسن بى ان اسبقكم الى « مين » .؟

ـ وهذا الرجل الذى تنوى ان تقابله فى نيويورك بشان الصفقة المراد عقدها .؟

ـ اى رجل ..؟ آه .. طبعا .. هذا الرجل .. ولكن المسالة

قد انتهت .. اني اريد ان ابكر بالذهاب الى مين لاتسلى بصيد السمك .
وضحك ضحكة عصبية مفتعلة .
ـ ولم لا .؟ ان في وسعنا ان نبكر بالذهاب وندع البيت في رعاية ماتيلدا وفيرونا .. متى تحب أن نسافر .؟
ـ اظن ان .. لقد شعرت بتعب في الايام الماضية واظن انه يحسن بي ان اسافر وحدى .
ـ جورج .! انك لاتريد ان ارافقك .؟
واحست المسكينة بالشقاء والتعاسة.
ـ انى طبعا احب ان تصحبنى .! قصدت ان اقول .. قصدت .. انى اقصد انه يحسن فى بعض الايام لمن كان مثلى مرهقا بعمل ان يخرج قليلا على عاداته المألوفة . ففى الشذوذ مايريح الاعصاب كما يقول علماء النفس .
ثم اردف في لهجة ودية :
ـ وبعد ذلك يمكنك أن تلحقى بى مع الاولاد
وابتسم فى وجهها .
وحملقت مسز بابيت فى وجه زوجها وقالت فى حزن :
ـ هل افسد عليك عطلتك عندما ارافقك .! الا يضاعف حدى من مسرتك وابتهاجك .؟
وتهدمت أعصاب بابيت .. وفجاة عرته نوبة هستيريه فصاح فى صوت شبيه بعويل الاطفال :

ـ نعم .. نعم .. نعم .. تبا لى .! نعم .. ان وجودك يضاعف من مسرتى .. ولكن الا تفهمين .؟ انى محطم الاعصاب .! انى مرهق القوى .! يجب ان اعنى بنفسى .! اقول لك انه يجب ان .. اوه .. لقد سئمت كل شيء وكل الناس .! يجب ان ..

وفهمت مسز بابت .. وخفت الى حمايته وانقاذه فقالت :
ـ ولم لا ؟ طبعا يجب أن تعنى بنفسك .! يمكنك ان تسافر وحدك الى مين .. ويمكنك ان تستصحب معك بول.! انكما مولعان بصيد السمك فلم لاتمضيان وقتا سعيدا .؟

وربتت بيدها على كتفه . واردفت تقول :
ـ والآن اصعد الى مخدعك ونم ملء جفنيك وساتولى انا اغلاق النوافذ .
وعلى الفراش رقد جورج ف. بابيت .. مرت به دقائق .. بل ساعات .. بل اجيال لا نهاية لها .. وهو مستيقظ لا يغمض له

بجعن وقد اشتملت بدنه رعدة جارفة وهو يفكر في انه ربح المعركة وظفر بحريته . واخذ يسائل نفسه في حيرة وارتباك عما يفعل بهذه الحرية المجهولة التي لم يتذوقها من قبل .

الفصل العاشر

- ١ -

ذهب بابيت وزوجته الى زيارة بول ريزلنج وزوجته زيلا
وزيلا امرأة شعراء عصبية المزاج همها التنديد بمن تعرف ورميهم بالمثالب والعيوب . ولكنها في تلك الليلة كانت شديدة التحفظ فاكتفت بان وصفت اورفيل جونز بانه حمار لا يفقه شيئا . وقالت عن مسز فرنيك ان لها في الغناء صوتا شبيها بدوى السيارات . اما المحترم اوتيس ديبل عمدة زينيث والمرشح لعضوية البرلمان فنعتته بانه معتوه فارغ العقل (وكان هذا صحيحا) .

وجعل زوجها وبابيت ينصتان الى حديثها وفي وجهيهما دلائل البلاهة والضجر وصرخت مسز ريزلنج بصوتها الحاد قائلة :
ـ ما بالكم واجمين .! هات قيثارتك يابول واعزف لنا .
وسأحاول أن ارغم جورجي على الرقص على شريطة ان لايضمني الى صدره بشدة .
اما بابيت وزوجته فكانا فريستي القلق اذ تم بينهما اتفاق سرى على أن يحاولا انتزاع بول ريزلنج من براثن زيلا لتأذن له بالسفر الى مين وحده دون ان تصحبه .
وقالت مسز بابيت وهي تبتسم :

ـ ترى هل ينهك عمل الشتاء المرهق بول كما ينهك زوجي .؟
واثارت هذه الكلمات زيلا اذ ذكرتها باهانة لقيتها من زوجها .
واذا ماذكرت زيلا اهانة قامت الدنيا وقعدت ولم يجرؤ احد على كاتها :

ـ ينهكه العمل ؟ كلا .. ان العمل لاينهكه وانما يجعله مجنونا معتوها .! انكم تظنون ان بول رجل عاقل رشيد وهو يحب دائما ان يتظاهر بانه الحمل الوديع والضحية المسكينة ولكن الواقع انه عنيد كالبغل ! لو انك عشت معه لتبينت ماأقول .! ستكتشفين مبلغ ظفه ودمائته .! يتظاهر بالوداعة ليظفر بما يريد .. اما انا فيقال عنى انى متجبرة مستبدة وانى عصبية المزاج وانى اتركه مرهقا بالعمل واسافر واتجول . ولكن ماذنبي اذا كان يأبى ان يسافر أو ان يتريض .. بالامس رفض ان يذهب الى السينما لان بطارية

السيارة فارغة . والغلطة غلطته مع ذلك . ما الذى اقعده عن الذهاب الى الجاراج وملء البطارية .؟ وهل من العار ان يذهب الى السينما فى الاوتوبيس ؟ . واخيرا وبعد الحاح ذهبا .. والتقيا بكمسارى وقح ومع ذلك لبث بول ساكتا لا يتحرك ! .

« كنت على الافريز انتظر ان يتزحزح الواقفون امامى لاصعد الى السيارة فصاح بى هذا الكمسارى الحيوان : « هيا عجلى .! تحركى .! » يا الهى .! لم اسمع فى حياتى احدا يخاطبنى بمثل هذه اللهجة .. ظننت انه لايوجه الى الحديث وانما يقصد سواى » والتفت اليه فى دهشة وقلت وكانت كلماتى بمنتهى الرقة والادب: « اتخاطبنى انا .؟ » ولكنه استمر يكلمنى بلهجته الوقحة قائلا : نعم كنت اخاطبك .. انك تعوقين السيارة عن متابعة سيرها ! » .. وادركت انه صعلوك حقير لم يتلق شيئا من التهذيب وان الرقة معه لاتجدى . ولكنى قلت له : « معذرة ياسيدى : اظننى لم انعل شيئا من هذا القبيل .. ان الواقفين امامى هم الذين يأبون ان يتزحزحوا ! ومع ذلك فدعنى اخبرك ايها الشاب انك صعلوك حقير وانك وقح جرىء وانك لست مهذبا ! ولا بد ان اشكوك لتعاقب على اجترائك وحق سيدة محترمة ! يا الهى .! تفقدك الخمر عقلك فتهيننى .! انى ارجوك ياسيدى أن تحتفظ بقاذوراتك لنفسك .» ولما القيت عليه هذا الدرس انتظرت ان يتحرك بول وأن يثبت انه نصف رجل ولكنه لم يخف الى نجدتى بل جعل يتظاهر بانه لم يسمع كلمة واحدة . فالتفت اليه وقلت : « بول .. اهان امامك وانت .. »

وكان بول وبابيت وزوجته يصغون اليها فى صمت . ولكن بول لم يطق صبرا فزمجر قائلا :

ـ اسكتى ! . اسكتى يا زيل ! . ان الدنيا باسرها تعرف اننى جبان رعديد وانك ارق الناس خلقا .. فاسكتى بالله عليك اذ لاداعى للتحدث فى هذا !

ـ لاداعى للتحدث فى هذا ! لاداعى للتحدث فى هذا ! ليت الناس يعرفون كم مرة سكت واغضيت .!

ـ اذن اسكتى فى هذه المرة ولا تكونى ثرثارة مزعجة .

ـ انا ثرثارة مزعجة ! . لولاى للبثت فى فراشك طيلة الليل والنهار تعزف على القيثارة . انك كسول خامل ولا تتحرك الا اذا دفعتك الى العمل .. وانت جبان يابول ريزلنج !

فقالت مسز بابيت :

ـ لاتقولى هذا يازيلا .. انك تمزحين طبعا .

ـ انى لا امزح .. انى اعنى كل كلمة انطق بها ..
ـ زيلا . ما الداعى الى اثارة هذا الموضوع ؟ ماالداعى الى مخاطبتك بول المسكين بمثل هذه اللهجة ؟
ـ بول المسكين ، لولاى لاصبحنا من المساكين حقا ولانتهى امرنا الى ملاجئ العجزة والفقراء ! انا التى ادفعه الى العمل . وانا التى اعلمه الاقتصاد !
ورات مسز بابيت ان تغير مجرى الحديث فقالت :
ـ اسمعى يا زيلا .. كنت اتحدث انا وجورجى فقلنا ان بول يرهق نفسه بالعمل طول العام وان من الانصاف ان يمضى جمعة أيام فى احدى الجهات الخلوية للاستراحة من عناء العمل . وقد الححت على جورج بأن يسبقنى الى ميين ثم الحق به انا والاولاد . فما اظرف ان يرافقه بول !
وتبدد ضجر بول وارهف اذنيه لما ينتظر ان تسفر عنه هذه المؤامرة . وهتفت زيلا قائلة :
ـ انك سعيدة الحظ ! يمكنك ان ترسلى جورج وحده دون أن تراقبيه .. جورج العجوز البدين المترهل الجسم ! انه رجل لا يتطلع الى امراة .. ولو انه فعل لما تطلعت هى اليه ! ومع ذلك فليست فى دمائه الجذوة ..!
فصاح بابيت مدافعا عن كرامته :
ـ ليست فى دمائى الجذوة ! والله لو انى اردت ان ..
ولكنه لم يكمل جملته اذ انبعث بول واقفا وفى وجهه امارات التمرد وصاح :
ـ اظنك تعتقدين ان لى عشيقات ؟
ـ نعم . انى اعتقد هذا .
ـ حسنا .. انك انت الجانية على نفسك . فاسمعى .. فى خلال العشرة الاعوام الماضية لم اعدم فى احدى الليالى عشيقة انسى معها همومى ومتاعبى واذا كان فى نيتك ان تستمرى على «مناكفتى» فسأستمر على خيانتك وغشك . ولا تحسبى الامر شاقا عسيرا فانك غبية بلهاء !
حملقت فيه زيلا .. وزمجرت .. ولم يعد احد يتبين اللعنات وكلمات السباب التى تدفقت من فمها !
وفى هذه اللحظة طرا تغيير عجيب على جورج ف. بابيت المسالم الوديع المستكين .. بهان صديقه بول وهو ساكن لا يخف الى نجدته فتذر العاصفة بتقوض البيت على الرءوس وهو جامد يتفرج ! .
وثب بابيت واقفا .. وبدا هائل الجسم كالعمالقة الجبابرة .

امسك بكتفى زيلا فى عنف . وتكلم . وكان صوته قاسيا رهيبا !
ـ لقد سئمت هذه المهاترات .! لقد عرفتك يازيلا منذ خمسة وعشرين عاما . وماسنحت فرصة الا رايتك فيها تحاولين النيل من بول والانتقاص منه .. انك لست شريرة لئيمة .. فانك اخبث من هذا واسوأ ..! انك مجنونة . انك معتوهة .. ودعينى ابلغك بان بول اظرف والطف مخلوق فى هذه الارض ! . ليس فى زينيث الا من يمقت منك استغلالك ضعفك وانوثتك للنيل من الناس والتهجم عليهم .! من انت حتى يضطر رجل مثل بول الى استئذانك قبل رحيله معى .! انك تعاملينه كانك مزيج من الملكة فيكتوريا وكليوباترا .! اينها الحمقاء المعتوهة . الا تدركين كيف يهزا بك اهل زينيث ويسخرون منك .
فقالت زيلا وهى تبكى .
ـ يا الهى .! لم يخاطبنى احد بمثل هذه اللهجة فى حياتى .!
ـ وهذا صحيح . ولكنهم يتحدثون عنك بهذه اللهجة وراء ظهرك .! ودائما انهم يقولون عنك انك امراة عجوز سليطة اللسان.! نعم . انك عجوز سليطة اللسان .!
ولم تكن زيلا تتوقع هذا الهجوم العنيف . فتخاذلت وانكمشت واخذت تبكى ، ولكن بابيت لم يرحمها ولم يشفق بها . كان شبيها بالمرجل اذا انفجر .. كان يشعر ان بول ومسز بابيت ينتظران ان يتم الانقاذ على يديه .
بكت زيلا وقالت فى تخاذل :
ـ انهم لايقولون هذا .! انهم لايقولون هذا .!
ـ بل يقولونه واكثر منه .!
ـ لقد كنت امراة شريره .! انى آسفة جدا سانتحر . اسافعل اى شىء ! اوه ' ماذا تريدون منى . ؟ ماذا تريدون . ؟
وانحدرت الى موقف الضراعة والمذلة .. وطاب لها ان تقف هذا الموقف حتى تستدر العطف بعد ان كانت موضع اللوم والزجر
وقال بابيت فى لهجة آمرة :
ـ اريد ان تدعى بول يسافر وحده الى مين معى .
ـ وانى لى ان امنعه ؛ الم تصفنى بانى معتوهة حمقاء .
ـ بل فى وسعك ان تمنعيه ! . واذا اردت ان يسافر فكفى عن التشدق بترهاتك عن ان له عشيقات وانه مسافر ليغازل الفتيات.! الا تدرين ان مثل هذه الاتهامات هى الكفيلة بأن تدفعه الى هذا الطريق .! يجب ان تكونى اعقل من هذا .!
ـ اقسم لك يا جورج انى ساكون عاقلة . اقسم لك انى اعرف

انى امراة شريرة .. اوه . اصفح عنى يابول .! اصفحوا عنى جميعا .!

واغتبط بابيت بانتصاره ولما خلا الى زوجته قال لها :

ـ لم يكن يليق بى ان اعنف زيلا . ولكن كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة للتغلب على عنادها !. يا الهى ! لقد كدت اجعلها تزحف على يديها وركبتيها متوسلة خاضعة !.

ـ لقد كنت شبيها بالوحش .. ولعلك اعتقدت فى هذه اللحظة انك رجل عظيم !.

ـ طبعا .. ولكن لم تلومينني !. انى لاأتوقع منك الا مناصرة بنات جنسك .

ـ ان زيلا مسكينة وشقية .. ليس لها فى العالم الا بول .. ولهذا تخشى ان تفقده . ولقد كنت شديد القسوة ياجورج .. ولا يمكننى ان افخر بموقفك .

اما هو فكان فخورا بموقفه .

وكان سعيدا لانه سيسافر مع بول الى مين منفردين .. فى غير رفقة الزوجتين .

- ٢ -

ذهب بول وبابيت الى متجر الاخوان جامبى ليشتريا ماىحتاجان اليه من ادوات صيد السمك فى رحلتهما . وكان بابيت مبتهج الخاطر، منشرح الصدر وكان لاينفك يمازح البائع قائلا :

ـ انى اريد طعما يجعل الحوت يأتى الى صاغرا طائعا !. اريد طعما لايكتفى بان يظل متدليا من السنارة وانما يهبط بنفسه الى الاعماق ويقبض على السمكة !.

ثم يلتفت الى بول قائلا :

ـ ما اسعدنى بهذه الرحلة ! وما يدريك انى قد اهوى صيد السمك فاتخلى عن المتاجرة فى العقارات لاتاجر فى الاسماك !

وعند خروجه من المتجر هتف بملء صوته يقول :

ـ فليحى السمك ! فليحى السلمون ! فلتحى الحيتان !

- ٣ -

اخذ اكسبريس نيويورك ينهب بهما الارض نهبا وقد اجتمع فى صالونهما نفر من المسافرين . وكان من بينهم شاب دميم الوجه ذو انف معقوف التفت الى رجل بدين يجلس بجانبه وقال :

ـ لقد امضيت فى زينيت اياما رائعة .. ان فيها نساء جميلات كنساء نيويورك . وقد تهافتن على وانا لاابالى بهن !

ونظر بابيت الى وجه المتكلم الدميم وهم بان يضحك .

وقال الرجل البدين .
ـ عندما وقع بصرى عليك ادركت على الفور انك فنان النساء!
ونحى المسافرون الصحف التى يقراون فيها واشتركوا جميعا فى الحديث معتبرين ان السفر فى قطار واحد هو فى ذاته تعارف كاف .
وبدا الحديث بالكلام عن المناظر الجميلة التى مروا بها . ثم انتقلوا الى انتقاد البرلمان الامريكى وتدخله فى الحرية الشخصية بتحريمه الخمر . وردد بابيت نظرية « هوارد ليتل فيلد » التى قال فيها ان تحريم الخمر على العمال صيانة لقواهم الانتاجية .واباحته لسواهم لايعد انتهاكا للحرية الشخصية ؛ لان العمال كالالات لا حرية لهم .
ثم عرجوا الى الكلام عن التسلح والمنافسة بين الدول فى الاستعدادات الحربية . ثم انتقلوا الى الكلام عن الاسهم والسندات واقترح احدهم تأليف شركة لتهريب الخمور ورجح ان ترتفع اثمان اسهمها ارتفاعا عظيما .! ثم اخذ احدهم يتحدث عن طوافه بالبلدان المختلفة والفنادق الفخمة التى نزل فيها وقال الرجل :
ـ وعندما ماذهبت الى شيكاغو نزلت فى فندق « ريلتون » الذى لاينزل فيه الا كبار الاغنياء .
وكان بابيت يعتقد ان الرجل كذوب يحب المبالغة . اذ لاتنم ثيابه عن الغنى واليسار فقال يمتحنه :
ـ فندق ريلتون .! اليس هو الفندق المشهور بابراجه التسعة .؟
فقال الشاب مجيبا :
ـ نعم . انه هو بعينه .! ان ابراجه التسعة على غاية من الجمال .! انها شبيهة بابراج القلاع ؛ وهى تقوم فى وسط الفندق على شكل هندسى بديع .
فابتسم بابيت وقال :
ـ يا الهى !. ما اضعف ذاكرتى !. لقد تذكرت الان ان ليس فى فندق ريلتون الا ثلاثة ابراج ، لا تسعة .
فقال الشاب دون ان يدركه الخجل :
ـ تبا لى .! ان فيه حقا ثلاثة ابراج .!
ثم اردف فى امتعاض وانفة :
ـ لقد جعلتنى اخطىء يا سيدى .
ولم يشأ بابيت ان يذكر له ان ليس فى الفندق برجا واحدا .. واحدا .

وانتقلوا الى الحديث عن ارتفاع اثمان الثياب دون مبرر. فقال احدهم :

ـ منذ ثلاثة شهور اشتريت بنطلونا للرياضة بعشرين دولارا ، ومنذ ايام اردت شراء بنطلون آخر فاذا بثمنه قد ارتفع الى ثلاثين دولارا .

وقال ثان :

ـ وما رأيك فى الاحذية وقد ارتفع ثمنها مائة فى المائة.؟

وقال ثالث :

ـ والقمصان والجوارب تضاعف ثمنها ايضا ، وكل هذا نتيجة لجشع اصحاب المصانع .

فقال رابع :

ـ وحتى الياقات ..

فقاطعه احد الجالسين بقوله :

ـ بالله عليك دع الياقات وشانها . انى صاحب مصنع للياقات واعرف السر فى ارتفاع اثمانها . انه ليس جشع اصحاب المصانع وانما جشع العمال الذين تضاعفت اجورهم .

واجتمع رايهم جميعا على ان اثمان الياقات مناسبة جدا . ولكن جميع قطع الثياب الاخرى باهظة الثمن بلا مبرر . واتفقوا على ان جشع اصحاب المصانع هو السبب فى ارتفاع الاثمان .. عدا اصحاب مصانع الياقات فانهم قوم قانعون وضحية لجشع العمال.!

ومر فى الممشى الخادم الزنجى الخاص بالمركبة فناداه احدهم وقال له :

ـ انصل بتسبرج فى الموعد ياترى ..؟

ـ لا ادرى ياسيدى .

فلما ابتعد الزنجى التفتوا بعضهم الى بعض قائلين :

ـ ما اوقح الزنوج ! لقد بداوا الان يتطلعون الى الحرية ..! اساله عن موعد الوصول فيقول انه لايدرى . ياللوقاحة ..! ان الخطا راجع الينا نحن الذين علمناهم الحرية وقد كان ينبغى ان يجلدوا بالسياط .!

وامنوا جميعا على قول صاحبهم . واتفق رايهم على ان الديموقراطية الصحيحة تقضى بجلد الزنوج صيانة للديموقراطية من ان يندمج فيها هؤلاء الزنوج الذين لايفهمونها . وما دامت امريكا بلاد الديموقراطية فيجب ان يجلد هؤلاء الانذال .!

وقال احدهم :

ـ الا ترون أيها الاخوان انه يحسن بنا ان نكف عن الرسميات ؟

لماذا لايروى كل منا لاصحابه اظرف النوادر التى مرت به .لاسيما النوادر النسائية . .!

وتركوا الحديث عن الديموقراطية والحرية الشخصية والمنافسة في التسليح واخذوا يروون الحكايات فى صوت منخفض وهم يقهقهون ضاحكين .

ولما اوى بابيت الى فراشه فى القطار ظل ساعة كامله مستيقظا وهو يفكر فى الحكاية الظريفة التى رواها الايطالى عن الارملة العجوز التى ارادت أن تقضى سهرة حمراء وكيف انها ..

ولبث بابيت مستيقظا ساعتين لاساعة واحدة .!

الفصل الحادى عشر

- ١ -

كان للمسافرين الى مين أن يمضوا فى نيويورك اربع ساعات حتى يحين موعد القطار التالى . وكان بابيت شديد اللهفة الى مشاهدة فندق بانسلفانيا العظيم الذى امتدت شهرته فى جميع انحاء البلاد فمضى اليه ووقف فى الطريق يتأمل ابراجه الشامخة وقبابه العالية . وغمغم يقول :

ــ الفان ومائتا غرفة .. والفان ومائتا حمام .! هذا اعظم شيء في العالم .! يا النبى .. ان ارباحه لابد أن تكون عظيمة جدا .. لنفرض أن ايجار الغرفة يتراوح بين اربعة دولارات وثمانية .وربما عشرة .. اربعة فى الفين ومائتى غرفة يساوى .. ماذا ..؟ لابد انه يساوى مبلغا كبيرا .. وهذا الايراد كل يوم .. طبعا انرجال الاعمال فى زينيت اذكى من اهل نيويورك . ولكن الفين ومائتى غرفة .. هذا شيء عظيم .!

- ٢ -

اخذ القطار يعرق ببول بابيت كالسهم بين المروج الخضراء والبحيرات الجميلة المنبسطة . ثم شق لنفسه طريقا وسط الجبال العالية .

وجعل بابيت يرسل بصره من النافذة وهو مشدوه ماخوذ.. لم تكن هذه اول مرة جاء فيها الى مين . ولكنها كانت اول مرة شعر فيها بجمال هذه المنطقة .. كانت أول مرة حضر فيها دونأن تصحبه زوجته واولاده .!

وتنهد بابيت وقال :

ــ بودى أن نقيم هنا مدى الحياة .! اغنى واصفر واظل جالسا طول النهار لا اتحرك من مكانى . ولا اسمع دقات الآلة الكاتبة ..

ولا صوت ستان جراف وهو يصرخ فى التليفون .. ولا تيد ودون وهما تتنابذان .. نعم ، اريد ان أجلس وانام بقية حياتى .!

- ٣ -

نزل بابيت وبول فى احد اكواخ مين القائمة على سفح الجبل! وخلعا ثياب المدينة المحرقة الضيقة وأرتديا القميص الرياضى المفتوح العنق والبنطلون الاصفر القصير ، وخرجا الى البحيرة فسارا على ضفتها وقتا غير قصير يجيلان الطرف فيما حولهمامن مناظر خلابة شاعرين بما اصابا من الحرية .

ونظر بابيت الى بول وغمز بعينه واخرج من جيبه كيسا من الجلد مملوءاً بتبغ يمضغ - وهى عادة من عادات الرعاع محترمة فى منزل بابيت .

وتناول بابيت مضغة من التبغ وهو يقول .

- ليس من عادتى أن امضغ التبغ . بل لا احب مضغه ،ولكنى اريد أن أشعر بحريتى .. اريد أن أشعر بأن فى وسعى ان افعل اى شىء دون ان يلومنى احد .! هل لك فى مضغة ؟

وتبادل الرجلان نظرات جذلة .. كان كل منهما يفهم صاحبه.! وتناول بول المضغة واخذ يلوكها فى فمه وهما يتشدقان وفكاهما يفرقعان ومن لحظة لاخرى كانا يبصقان على الارض دون ان يخشيا أتلاف السجاد وجعلا يتمطيان .. ويضحكان .. ويتنهدان .

وكانا سعيدين !

- ٤ -

كان لديهما اسبوع كامل يمضيانه على انفراد قبل وصول الاسرتين .. وفى كل مساء يتفقان على الاستيقاظ مبكرا ليصيدا السمك قبل طعام الفطور وفى كل صباح يظلان راقدين علىالفراش لاينهضان الا اذا دعاهما جرس الفطور شاعرين فى اغتباط بأن لن تعكر صفو رقادهما زوجة تنتزعهما من الفراش انتزاعا .

واضرب بابيت عن حلاقة لحيته . فلا يحلقها الا اذا شعر برغبته فى ذلك . وكان يسره فى بعض الاحيان ان يدع نقطة من الزبد تسقط على بنطلونه الاصفر او على مفرش المائدة مطمئناالى أن ليست هناك زوجة تؤنبه على ما يفعل .

وكانا يمضيان صباحهما فى الصيد . وما بعد الظهر فى النوم. اما فى المساء فيتسليان بلعب الورق مع الادلاء حتى منتصف الليل. واذا ما رجعا الى كوخهما سارا اليه فى غير مبالاة واثقين من انهما لن يجدا فى انتظارهما زوجة تستجوبهما عن الكيفية التى قضيا بها السهرة .

وفى غضون هذه الايام ذكر كل منهما زوجته فقال بابيت :
ـ ان ميرا امراة طيبة القلب . وزيلا حسنة النية .
وقال بول :

ـ هذا صحيح .. انى لاافكر الآن الا فى ان اوفر لها اسباب المسرات . واشعر بان حياتى من الآن فصاعدا ستكون هائئة مونقة .
ـ ارجو ذلك ياصاح . وصدقنى انى سعيد جدا بوجودك معى
ـ ان وجودى معك فى هذا المكان ياجورج معناه الحياة .. معناه انك انقذت حياتى .

ـ ٥ ـ

فى اليوم السابق لوصول الاسرتين قالت صاحبة الكوخ :
ـ لاشك انكما مبتهجان بقدومهما ..؟
واضطر بول وبابيت ازاء ذلك ان يتظاهرا بالابتهاج . ولكنهما ذهبا فى تلك الليلة الى فراشهما مبكرين على غير العادة . وكانا واجمين لائذين بالصمت .

وعندما جاءت ميرا ابتدرتهما بقولها :
ـ اننا نريد ان تستمرا على ما كنتما عليه كاننا لم نحضر .. اخرجا متى شئتما وعودا متى شئتما ولا تقيما وزنا لوجودنا .

وفى الليلة الاولى سهر بابيت حتى منتصف الليل يلعب البوكر مع الادلاء فلما رجع ابتدرته زوجته فى جذل ودعابة قائلة :
ـ لقد فسدت ايها الولد الشقى ..!

وفى الليلة الثانية زمجرت فى صوت يغالبه النعاس :
ـ يا الهى ..! افى نيتك ان تسهر كل ليلة ..؟
وفى الليلة الثالثة لم يلعب بابيت البوكر .

وفى ذلك الوقت عاوده التعب والاعياء . وقال متذمرا :
ـ عجبا ! ان العطلة لم تفدنى .. لقد اصبحت اشد قلقا واضطرابا مما كنت !
وامضى فى مين ثلاثة اسابيع . وفى نهاية الاسبوع الثالث عاوده الهدوء وطاب له ان ينافس ابنه تيد فى صيد السمك . وكان لايفتأ يقول :

ـ ان الحياة جميلة ..! انى اشعر بانى مقبل على عام عظيم ..!
ارجو ان انتخب رئيسا لنقابة السماسرة بدلا من هذا الغر المفتون شان موت .

الفصل الثانى عشر

- ١ -

فى الطريق الى زينيث شعر بابيت بانه اصبح رجلا آخر .. الف عن المزاح والهذر .. وسيكف عن الاستسلام لمتاعب العمل .. وسيهتم بما هو اجدى .. سيختلف الى المسارح وسينهمك فى الاطلاع .. وفجاة - حين انتهى من تدخين سيجار ضخم - عزم على الاقلاع عن التدخين .

واكتشف طريقة جديدة : لن يشترى تبغا بعد اليوم بل سيقنع بما يقدمه اليه اصدقاؤه او بما يستعيره .. وبطبيعة الحال سيخجله ان يستعير السجائر . وفى غمرة من الحماسة طوح بعلبة سجائره من نافذة القطار . والتفت الى زوجته وصارحها بما عقد عليه العزم قائلا :

- الامر على غاية من البساطة . قوة ارادة ليس الا .

وتناول احدى المجلات واخذ يطالع قصة بوليسية . ولمسافة عشرة اميال خالجته رغبة قوية فى التدخين . ولاح عليه القلق وراح يتململ فى مقعده . وقرأ من المجلة صحيفتين لم يفهم لهما معنى . وبعد خمسة اميال غادر مقصورته ونادى الخادم الزنجى قائلا :

- اسمع ياجورج .. امعك ..

وهم بان يقول « سيجارة » ثم خجل من نفسه فقال :

- امعك جدول المواعيد ؟

وفى المحطة التالية اشترى علبة سجائر .

وبعد اربعة ايام ذكر انه اقلع عن التدخين .. ولكنه كان منهمكا فى العمل الى درجة جعلته ينسى انه ذكر ذلك .

- ٢ -

هوى بابيت لعبة الباسبول لان رحلته الى مين خلقت منه رجلا جديدا . ولكن بعد اربعة ايام ادرك انها لعبة سخيفة .

وفى كل سبت يذهب الى ناديه الريفى ليلعب الجولف وبعد اسبوع سئم الجولف .

وتمنى ان يلتحق بنادى يونيون الذى لاينخرط فى سلكه الا كبار الاغنياء ولما ايقن ان الانضمام الى عضوية هذا النادى مستحيل جعل يقول :

- لو انهم دفعوا الى الف دولار لانضم الى نادى يونيو لابيت !

ماذا ؟ انه نادٍ لايضم الا جماعة من الناس يتكلمون فى تكلف فلأعترف انى لا احب التكلف .
وكان يشعر فى قرارة نفسه ان يوم الانضمام الى نادى يونيون سيكون أسعد يوم فى حياته .

- ٣ -

كان مستر ومسز بابيت وتينكا يختلفون الى دور الصور المتحركة مرة فى الاسبوع على الاقل . وكان بابيت يؤثر السينما وما فيها من موسيقى شعبية على الاوبرا المتعجرفة ذات الموسيقى العالية التى لايفهمها حتى عازفها .
وفى اثناء العرض كان بابيت لاينفك يصيح من لحظة لاخرى :
- « يا الهى ! . عال . عال ! . الكمه فى وجهه ! . احذر ! انظر خلفك ! ان المسدس محشو !. » الى غير ذلك من العبارات التى ينبه بها ابطال الرواية الى الاخطار التى تتهددهم .
ان بابيت رجل عطوف رقيق الاحساس !.

ولم يكن يحب من الافلام الا ثلاثة انواع : افلام الفتيات الشبيهات بالعاريات ذوات السيقان الجميلة الظاهرة للابصار .. وافلام رجال العصابات والشرطة ورعاة البقر وما يصحبهما من اطلاق المسدسات . وافلام السمان الضخام وهم يأكلون المكرونة .
اما مسز بابيت فتفضل الافلام التى تجرى وقائعها فى قصور اصحاب الملايين
اما تينكا فتفضل (او بعبارة اخرى يعتقدون انها كانت تفضل) الافلام التى يوصيها ابوها بان تفضلها .

الفصل الثالث عشر

- ١ -

فى كل عام ينعقد فى الولايات المتحدة مؤتمر من السماسرة تتوفد نقاباتهم المنتشرة فى جميع انحاء البلاد مندوبين عنها لحضوره .. وكان بابيت احد مندوبى نقابة زينيث . والتقى بابيت بسيسل واونترى أحد المندوبين ورئيس لجنة التنسيق فقال له :
- الشىء الذى يضايقنى ادعاء المدرسين والوعاظ والمحامين والاطباء بانهم « فنيون » ... ان السمسار الذى يفهم مهنته مطالب بأن يعرف من المعلومات اضعاف ما يعرفون .
- أصبت .. لماذا لا تعد كلمة فى هذا المعنى لتلقيها فى المؤتمر ؟.

ـ يمكنك اذن ان تضم اسمي الى قائمة الخطباء . والمسالة في اعتقادي تتلخص في امرين : اولا ـ يجب ان يعمل المؤتمر على تغيير اسمنا فلا نلقب بالسماسرة وانما نلقب « بتجار العقارات » فهذا يضفي علينا صبغة فنية .. وثانيا ـ ما الذي يميز المهنة عن التجارة الآلية او العمل الآلي ماذا .؟ اوه .. طبعا الخدمة العامة بالنهار والمعلومات ايضا فالرجل الذي يبيع سلعة من السلع ليس ماهرا ولا يقيم اى اعتبار للخدمة العامة اما تاجر العقارات فبصفته فنيا ..

فقاطعه راونتري بقوله :

ـ هذا راى صائب ..! فكرة رائعة ..! يمكنك ان تعد كلمة في هذا المعنى

واسرع بالانصراف .

ـ ٢ ـ

لم يكن بابيت ممن يجيدون الكتابة على الرغم من انه كان مطالبا بخطبة قصيرة لا يزيد القاؤها على عشر دقائق .

وضع بابيت الاوراق على منضدة في قاعة الاستقبال وامر اهل البيت بالصمت والاخلاد الى السكون التام . وطلب الى فيروناوتيد الانسحاب وعدم الظهور . وهددت تينكا بالضرب ان بدر منها اى صوت . وجلست مسز بابيت على مقعد في القاعة متكمشة ساكنة تطرز ثوبا .

وتتابعت الدقائق وبابيت جالس الى الورق والمنضدة وجبينه يتصبب عرقا وفي وجهه امارات اليأس والقنوط وهو يعبث بالقلم في حركة عصبية

والتفتت اليه مسز بابيت وقالت :

ـ ليت شعرى كيف يمكن ان يتفتق ذهنك عن آراء عالية ! .

ـ هذه مسألة لا تفهمين فيها .. انها نعمة من نعم الخيال الخصب فلا تدخلي فيما لا عهد لك به .

وكتب بابيت سبع صحائف وكان فحوى ما كتبه في الصحيفة الاولى لا يخرج عن عناصر الخطبة التي سيلقيها وبعض تخطيطات لا دخل لها في الموضوع

وكانت الصحائف الست الاخرى صورة طبق الاصل من الصحيفة الاولى ..!

- ٣ -

تقابل السماسرة المسافرون لحضور المؤتمر فى محطة زينيت . وكانوا نحو الستين . وقد صحب اكثرهم زوجاتهم . وكانوا يحملون اعلاما كتب عليها :

« نقابة سماسرة مدينة زينيت » وكان يتقدمهم رجل يحمل علما كبيرا كتبت عليه هذه العبارة .

(زينيت مدينه النشاط والنجاح)

(زينيت ام المدن)

ولما ازف موعد تحرك القطار اصطف المندوبون واخذوا يغنون نشيدا وضعه الشاعر فرينك يتمجد فيه بمدينة زينيت وما ينتظر لها من نجاح عظيم ومستقبل باهر وفوز على سائر المدن

واعتلى بابيت مقعدا وصاح يقول :

- كيف حال زينيت .؟

فهتفوا جميعا فى نفس واحد :

- انها بخير .!

- ما هى اعظم مدينة فى الولايات المتحدة .؟

- زينيث .!

- ما هى المدينة الخالدة .؟

- زينيت .!

وهتف بابيت ثلاث مرات بحياة المدينة العظيمة . ولكنه ما لبث ان ادرك أن فعلته لا تتفق مع وقاره بصفته مندوبا رسميا لنقابة السماسرة فنزل عن المقعد ولزم الصمت .

- ٤ -

اتى بابيت عملا عظيما رائعا .. امر ببذلته ان تكوى فى القطار .! وامر ان يعدوا له الحمام ..!

اسراف لا يقدم عليه الا اصحاب الملايين .!!

وتمنى بابيت وهو ذاهب الى الحمام أن يراه جميع من فى القطار .. وتمنى والخادم يحمل اليه البذلة المكوية أن يروه وان يعرفوا ان هذه بذلة بابيت .

- ٥ -

عقد المؤتمر فى قاعة الرقص فى مطعم الين . وفى قاعة الاستقبال كان رئيس المؤتمر جالسا الى مائدة كبيرة وامامه اوراق وملفات مكدسة ولم يكن هناك نزاع فى انه اكثر أعضاء اللجنة

انهماكا في العمل وبلغ من شدة انهماكه في العمل انه لم يعمل شيئا .!
يقترب منه هذا ويقول له : « ما رايك في كذا وكذا .؟ » فيجيبه « عال .. عال .. فكرة رائعة .. » دون ان يسمع شيئا لشدة الضجة . ويصيح به الآخر : « يا حضرة الرئيس انى اريد ان ... » فيحنى الرئيس راسه مؤمنا وهو لم يسمع حرفا . ويدق جرس التليفون ولا يلبى النداء : ويشعل سيجارة ولا يدخنها .

واقامت الغرفة التجارية لمدينة موبارك التى انعقد فيها المؤتمر مادبة غداء للمؤتمرين . اعقبتها حفلة شاى عند مسز كروسبى نولتون زوجه احد اصحاب مصانع السيارات فمدت موائد الشاى في حديقتها الايطالية الجميلة . واجتمع الى هذه الموائد سمائة من اشهر سماسرة الولايات المتحدة حاول نصفهم الاقتراب من مسز نولتون ليهز يدها الجميلة في حرارة
وفى ركن آخر من الحديقة اجتمع سماسرة زينيت وهتفوا يحيون مدينتهم وينادون بانها فوق المدن . فاعتلى سماسرة بابوني المقاعد والموائد وهتفوا لمجد مدينتهم باصوات اعلى .

ولما انصرف المدعوون ساد الحديقة سكون مفاجىء ، وتنهدت مسز كروسبى نولتون وهى تنظر الى ستمائة وردة مبعثرة على الارض ، والى ستمائة شجيرة مهشمة مهدورة الاغصان ، وحانت منها لفتة الى تمثال ابى الهول الرابض في وسط الحديقة . فرات ان احدهم رسم له شاربا بالقلم الرصاص . أما المناشف الحريرية الغالية فكانت على الارض ملوثة بالطين . وفى البركة لم تكن الاسماك الملونة هى وحدها التى تسبح وانما كانت تسبح الى جوارها أعقاب السجائر وتحت بعض المقاعد اقداح الشاى محطمة .
وتنهدت مسز كروسبى .!

- ٦ -

ولما اقترب الموعد الذى سيلقى فيه (بابيت) خطبته عراه الاضطراب وداخله القلق واخذ يتردد ريثه من لحظة لاخرى ، ولكنه استجمع شجاعته حين صعد الى المنصة والقى كلمته في صوت متزن هادىء النبرات . ولما فرغ هتف له الحاضرون اعجابا به ، وفى اثناء المناقشات التالية كان المتجادلون لا يفتأون يشيرون الى « الكلمة النيفة التى القاها الاخ المحترم مستر جورج بابيت » . وفى غضون ربع ساعة انقلب بابيت رجلا عظيما بعد أن

كان مغمور الاسم لا يعرفه احد .. واقبل عليه نفر غير قليل من السماسرة يصافحونه ويبدون رغبتهم فى التصـــرف بالخطيب العظيم .

وفى صباح اليوم التالى اقبل بابيت على الصحف يلتهمها ؛ ولشد ما استولى عليه الابتهاج حين رأى كلمته وصورته منشورتين تحت عناوين بارزة فغمغم يقول :

ـ الآن سيعرف اهل زينيت ان بابيت رجل عظيم

وبالاجماع انتخب بابيت عضوا فى اللجنة الادارية للمؤتمر ؛ فاشرق وجهه وقال فى نفســه :

ـ كنت اتوقعه عاما عظيما ! . انك يا جورج لم تخلق الا لعظائم الامور . لقد ولدت خطيبا مفوها .

ـ ٧ ـ

اجتمع بابيت مع نفر من السماسرة واختلفوا الى احـــدى الحانات لتمضية الوقت . وكانوا جميعا يمزحون ويتنـــادرون بالقصص والحكايات وقد طرحوا عن كواهلهم هموم الدنيـــا . وتنهد بابيت وقال :

ـ لا علم لى برايكم ايها الاخوان . ولكنى اعتقد انه يجب على الزوج ان يسافر مرة او مرتين فى العام دون ان تكون زوجته فى رفقته فينسى فى الجبال او على ضفاف البحيرات همومه ومتاعبه . فقال احد مندوبى سيارته

ـ انى يا جورج مثال للزوج الكامل . ولـــكنى لا اكتمك انى اسام فى بعض الاحيان الحياة المضطردة التى اعيشها ، اما فى المكتب واما فى البيت .. واما فى السينما . اليس هذا شيئا لا يطاق . ان الحياة لا تطيب للانسان الا اذا كان عمادها التغيير

فصاح روجرز (السمسار الذى من زينيت) قائلا :

ـ ما هذه الاحاديث المحزنة .؟ افرحوا وابتهجوا ولنغن معا .!

ـ ٨ ـ

تناول هؤلاء الرفاق العشاء فى مطعم شرقى . وقال روجـرز للجرسون الايطالى مازحا :

ـ الديكم طبقا من اذان الفيلة .!

فاجابه الجرسون فى وقار

ـ كلا يا سيدى بكل اسف

. كلا .! يا الهى .! الن ما العمل .؟ انموت جوعا .؟ احضر لى بسلة طازجة من العلب المحفوظة .. لقـــد سمعت انكم تزرعون حدائقكم فى العلب المحفوظة

وقدم اليهم الشراب علنا دون اية مبالاة برجال البوليس اللذين اكانوا واقفين فى أركان المطعم
ولما فرغوا من الطعام استقر منهم العزم على قضاء الســهرة فى مهى جاء عنه فى الاعلانات : « انه الملهى الذى ينسى الـكاهن صلواته . »
وابتسم بابيت وقال :
ـ ليس فى نيتى ان اصلى الليلة !
كان مهرج الملهى يهوديا اتخذ من اليهود هدفا لدعابته . وقد أبدع فى اظهار مثالبهم وعيوبهم . فلو اراد أعدى اعداء اليهود الطعن عليهم لكان حسبه ما قاله هذا اليهودى فى مواطنيه
وقدم اليهم الشراب علنا ايضا . مما جعلهم يذكرون انهم فى عهد التحريم

على ان اجمل ما فى هذا الملهى السيقان العارية الجميلة التى انحسرت عنها الثياب ، وفى فترات الاستراحة نزلت الراقصـات الى القاعة وراقصن المتفرجين ، ورقصت احداهن مع بابيت فكان سعيدا وهو يضم الى صدره جسمها اللدن الدافىء ، بل انها هى التى كانت تضمه الى صدرها خشـية ان يقع على الارض لفرط سكره ، ولما ارجعته الفتاة الى مائدته سالما جعل يغنى فى ابتهاج .

ولكن ابتهاجه لم يطل كثيرا اذ قاطعه الســمسار الذى من صبارته قائلا :
ـ ان لك صوتا قبيحا فكف عن الغناء ودعنى انا اغنى .

وتشاحنا ربع ساعة وكل منهما يزعم ان صوته هو الشجى . ولم يفرقها عن الشجار الا اقداح الخمر الجديدة التى حملها اليهما الجرسون .
وقال احد السماسرة :
ـ ان مونارك اظرف الف مـــرة من زينيث .. فى زينيث لا يستطيع المرء ان يجد من بنات الهوى عددا يعادل العدد الموجود هنا .
ـ هذا كذب . ! ان فى زينيث من بنات الهوى ما يزيد عددهن على عدد من فى الولايات المتحدة كلها !
ثم ادرك انهم اسـتـدرجوه الى هذا الدفاع المعكوس وهزاوا

به . فغضب وأراد أن يتشاجر معهم ولكن قدميه خذلتاه فلبث في مقعده .

ولكن لحسن الحظ ان اسرته لم تعلم بأمر هذه السهرة . ولم يره وهو على هذه الحال من اهل زينيت الا روجرز وونج . ولكن لعلهما لم يرياه اذ كانا على مثل حاله .

الفصل الرابع عشر

- ١ -

في خريف هذا العام رشح الاشتراكي سينيكا دون نفسه عمدة لمدينة زينيت .. ورشح الجمهوريون والديمقراطيون امامه رجلا من اصحاب المصانع يدعى لوكاس براوت تؤيده الغرفة التجارية ورجال الاعمال والصحف المحترمة وجورج ف. بابيت .

كان بابيت زعيم لجنة الدعاية في حي فلورال هايتس . فقد اكسبته خطابته في مؤتمر السماسرة شهرة عريضة ونعتته الصحف بأنه خطيب مفوه ذلق اللسان . وكانت الصحف المحلية تنشر بالخط العريض انباء الاجتماعات التي ينوي بابيت أن يخطب الناس فيها .

وعرف بابيت كيف يستهوى الباب الجماهير ويضرب على الوتر الحساس من عواطفهم ورغباتهم .. ومما يؤثر عنه قولته المشهورة : « اذا كان الرئيس لنكولن على قيد الحياة فلا شك عندي في انه سيعطي صوته لمستر لوكاس براوت » وعدت هذه الكلمة منه بلاغة منقطعة النظير .

- ٢ -

وفي خريف هذا العام رشح مستر هاردنج رئيسا للجمهورية . فاستعانت لجان الدعاية ببابيت واتخذت منه خطيبها المفوه الذي يدعو الى تأييد الرئيس الجديد .

وقال بول مخاطبا رفيقه القديم :

- ليت شعري كيف تؤاتيك القوة على ان تخطب الناس ثلاث مرات في ليلة واحدة . ! والغريب أن لك في استهواء الجماهير اسلوبا فذا لا يجارى .

وحيثما يذهب جورج بابيت تلحظه عناية الناس وتنتهبه الابصار .

وفي مساء احد الايام دعى الى اجتماع حاشد فرأى ان يدعو

زوجته واولاده ليشهدوا ما كتب له من مجد عظيم وكيف انه أصبح من الشخصيات البارزة . ولما فرغ من خطابته أقبل على صاحبه بول قائلا :

ـ ما رأيك يا بول فى خطابتى .. !

ـ لقد أبدعت .. ! استوليت على العقول .. !

وهتفت مسز بابيت فى حماسة قائلة :

ـ كنت مدهشا يا عزيزى ! .. ولك نظريات رائعة ! .. الحق انى لم اعرف ذكاءك وحضور بديهتك الا الليلة .. ! كنت عظيما رائعا .. !

ولكن فيرونا الثرثارة ابتدرته بقولها :

ـ ابى .. ! كيف عرفت ان ملكية الشعب للمرافق العامة تؤذن بخراب شامل .. ؟

وقطب مستر بابيت جبينه اذ كان السؤال محرجا .. لم يكن يدرى من النظريات الاشتراكية او الديمقراطية الا القشور ، ولكنه كان يردد عبارات محفوظة ، وخفت مسز بابيت الى نجدة زوجها العظيم فقالت مؤنبة ابنتها :

ـ رون .. اهدا اوان توجيه مثل هذا السؤال الى ابيك .. ! الا ترينه مشغولا .. الا تعلمين انه سيخطب الآن فى اجتماع آخر ! هيا بنا فانهم ينتظروننا ..

ـ ٣ ـ

تغلب مستر لوكاس براوت على مستر سينيكادون وانتخب عمدة لمدينة زينيت وابدى العمدة الجديد استعداده لان يعين نفرا من اقارب مستر جورج بابيت فى بعض الوظائف الخالية .. ولكن الخطيب المفوه اعتذر عن قبول هذا العرض وطلب بدلا من ذلك ان يطلعوه على المشروعات السرية التى ينويها المجلس البلدى بشأن فتح الشوارع الجديدة فى المدينة . ولم يضن العمدة على بابيت بهذه البيانات فتسنى له بذلك ان يعرف المناطق التى ينبغى أن يشترى فيها العقارات ليبيعها بثمن مرتفع بعد فتح الشوارع الجديدة .

ولم تنقض شهرة بابيت الخطابية بانقضاء المعارك الانتخابية . بل كان يدعى دائما الى الاجتماعات العامة لالقاء كلمة من كلماته القيمة . وكانت الجمعيات تعد نفسها سعيدة الحظ اذا رضى مستر بابيت بأن يتصدر مائدتها الرئيسية ويكون من عداد خطبائها المبرزين

وقال له صاحبه فيرجيل جانش يوما :
ـ لقد اصبحت يا جورج من اشــهر اهل المدينة . وما افتح صحيفة الا وقعت عيناي على خطبة بليغة لك ، ولا شك ان هذه الدعاية اثمرت فاشتد اقبال الناس على الاســتعانة بك فى عقد صفقات البيع والشراء . ؟ فاستمر على ذلك يتضاعف ربحك ..
فضحك بابيت وقال :
ـ دعك من المزاح يا فيرج .
ولكنه كان فى قرارة نفسه يشعر بالزهو والفخار ..

الفصل الخامس عشر

- ١ -

على الرغم من الشهرة العريضة التى استفاضت لبابت لم يكن راضيا عن نفسه . كان اسمه على كل لسان .. وكانت خطبه تذاع فى الصحف ولكنه لم يظفر بالمكانة الاجتماعية التى ينشدها اذ لم يدع حتى هذه اللحظة الى نادى يونيون : نادى اصحاب الملايين .
وكان بابيت يعزى نفسه بقوله :
ـ انى طبعا لا احفل بشىء من هذا القبيل . ولكنى اعلم انه كان يسر زوجتى ان تدعى الى هذا النادى .
وجعل يترقب بفروغ صبر الليلة التى يدعى فيها الى نادى يونيون ليجدد معرفته برفيق التلمذة شارل ماك كليفى وبغيره من أصحاب الملايين الذين يسيطرون على المدينة بأموالهم ونفوذهم .

ولما حان موعد الحفلة السنوية التى تقيمها الجامعة لخريجها القدماء تضاعف رجاء بابيت فى أن يلقى فى هذه الحفلة شارل ماك كيلفى فيجددان عهود التلمذة .

- ٢ -

بعد ايام وصلت الى جورج ف . بابيت رقعة الدعوة بصفته من خريجى المعهد . واقيمت الحفلة فى نادى يونيون وحضرها من الخريجين ستون شخصا .. وكانوا يتبادلون الحديث فى مسرة وابتهاج وان نسى اكثرهم اسماء زملائه القدماء .
وجعــل بابيت همه الدنو من ماك كيلفى . فلما اقترب منه سمعه يتحدث الى المالى الشهير ماكس كروجر قائلا :
ـ طبعــا ســاقيم مادبة تكريم لســير جيرالد دوك .. انك تعرف انه من اكبر اصحاب مناجم الحديد فى انجلترا .. هالو ..

اليس هذا هو زميلى القديم جورجى ! . الا ترى يا مكس ان جورج بابيت اصبح بدبنا . ؟
وصافح بابيت المليونير الكـــبير والمالى الشـــهير فى حرارة وفخار .
والتفت ماك كيلفى الى بول الذى كان فى رفقة بابيت وقال له :
ـ هالو بول . ؟ كيف حال قيثـارتك ؟ اتنـــوى ان تجلس يا جورجى فى مكان معين ؟ اذن هيا بنا نجلس معا .. لقد قرات خطبتك الانتخابية
وكان بابيت فى هذه اللحـظة مســـتعدا لان يتبعه حتى الى الجحيم .
كان بابيت مزهوا معجبا بنفسه فخورا .. كان يشعر بأن فى وقوفه مع ماك كيلفى مجدا لا يعادله مجد . وكان لا ينفك يتقرب اليه ويحاول ان يرفع نفسه الى مستواه بتذكيره بعهود التلمذة وما جرى فيها . وكلما ابتعد عنه ماك كيلفى اسرع بابيت فى اثره وهو يقول :
ـ اسمع يا شارل . ! الا تذكر ما حدث فى يوم كذا . ؟
واخيرا راى بابيت ان يقوم بالهجوم العام فقال :

ـ مما يؤسف له يا شـــارل ان تفرق بينـــنا الايام فلا يرى بعضنا بعضا . يجب أن تحضر انت ومســـز ماك كيلفى لتنـــاول العشاء عندنا فى احدى الليالى !
فقال المليونير فى صوت تنقصه الحماسة :
ـ آه .. طبعا .. طبعا .
ـ وعند هذا ساحدثك عن الاراضى المعروضة للبيع الواقعة خلف مصنعك ، وقد ادلى اليك براى سديد
ـ عال جدا .. طبعا يجب ان نتناول العشاء معا فى احد الايام

ـ ٣ ـ

لم يتردد بابيت فى ان يدعو ماك كيلفى وزوجته الى تنـــاول العشاء فى داره . ولم يرد المليونير الشهير بالايجاب فحسب وانما حضر فعلا . وان كان قد حضر بعد تغيير الموعد ثلاث مرات
وبطبيعة الحال كان تنسيق المائدة واختيار الالوان مشـــكلة المشاكل
وفى اليوم المحدد شرعت مسز بابيت عقب الغداء مباشرة تعد مائدة العشاء . ورجع بابيت الى المنزل فى تمام الســـاعة الرابعة تنفيذا للاوامر الصادرة اليه . ولكنه لم يجد عملا يعمله . وكررت

عليه زوجته ثلاث مرات قولها : « من فضلك اذهب الى غرفة اخرى . . انك تعوقنا وتفسد عملنا بوقفتك هذه »

ونزل بابيت الى الحديقة فراى تيد جالسا هناك مكتئب الوجه فقال له :

ـ ماذا بك يا بنى ؟

ـ امرتنى ماما ان لا اظهر الليلة فى قاعة المائدة . وان استحم وارتدى بذلتى الجديدة .

فضحك بابيت وقال :

ـ ولم لا ؟ انى احب ان ارى « رجال بابيت » على احسن حال « ورجال بابيت » تعبير يكثر بابيت من استعماله اذ يحس منه فخارا وزهوا .

ولم يتأخر ماك كيلفى وزوجته عن موعد العشاء الاربع ساعة

وتمنى بابيت لو ارى دوبلبرو سيارة ماك كيلفى الفاخرة وهى تقف امام الباب وسائقه ينتظر بيزته الأنيقة .

وكانت الوان الطعام كثيرة ومطهية بعناية . واستعملت مسز بابيت صحاف الطعام الفضية التى ورثتها عن جدتها والتى لم تر النور منذ عشرات السنين . اما بابيت فبذل جهدا خارقا للقيام بواجبه بصفته صاحب الدعوة . فلم يسرد شيئا من الحكايات التى كان يتمنى ان يرويها . ولم يحتكر الحديث بل اصغى الى الاخرين وكان بارعا فى استهلالاته القصيرة فوصف الدكتور انجوس « احد المدعوين » بانه رسول الانسانية . ونعت هواردليتل فيلد بانه العلامة الذى لا يجارى وقال عن شارل ماك كيلفى انه وحى الشباب الطموح . اما مسز ماك كيلفى فوصفها بانها درة المجتمعات فى زينيت وواشنجتون ونيويورك .. ثم ذكر انها سافرت مرارا الى باريس فاردف قائلا : « ودرة المجتمعات فى باريس ايضا . » ثم اضاف : « وفى لندن . » وخشى ان تكون مسز كيلفى درة المجتمعات فى امكنة اخرى فكفى نفسه مؤونة الزلل بقوله « وفى كثير من المدن الاخرى »

ولكن على الرغم مما بذل من فن وجهد ظل جو المادبة باردا فاترا ودارت الاحاديث بتكلف ظاهر

وقبل الساعة العاشرة بقليل اكتشف ماك كيلفى مع الاسف الشديد ان زوجتهمصابة بصداعشديد وان لا مفر منالانسحاب . وقال وهو يرتدى معطفه :

ـ يجب ان نتناول الغداء معا يوما ما يا جورج لنستعيد ذكرى الايام الماضية

ولما انصرف سائر المدعوين فى الساعة الحادية عشرة التفت

بابيت الى زوجته وقال :

ـ قال شارل انه امضى لدينا سهرة رائعة وانه سيدعونا الى الغداء ، اقصد الى العشاء فى احد الايام

فقالت زوجته :

ـ الحق انها كانت مادبة لطيفة ، وانى اوثرها على تلك المادب الصاخبة التى يتكلم فيها المدعوون جميعا فى نفس واحد دون ان يصغى احد منهم الى صاحبه

ولكن عندما أوت الى مخدعها سمعها تبكى بكاء مكتوما يائسا

ـ ٤ ـ

مر شهر كامل وبابيت وزوجته يقرآن فى اهتمام قسم الاخبار الاجتماعية فى الصحف ويترقبان دعوتهما الى بيت ماك كيلفى

وعرفا من الصحف أن ماك كيلفى اقام مادبة لسير جيرالد دوك واقام مادبة لغيره وغيره من كبار الضيوف الذين يهبطون المدينة ؟ ولكنه لم يفكر في دعوة بابيت وزوجته الى احدى هذه المادب .

وقال بابيت فى شجاعة :

ـ ارجو ان لا يدعـــونا ماك كيلفى الى المادبة التى سيقيمها للورد دوك فانى احب ان اتناول مع شارلى وزوجته عشاء ظريفا مجردا من قيود الرسميات .

وفى ذلك المساء بينما كان راجعا الى داره مر بسيارة ماك كيلفى الفاخرة وراى فيها المليونير الكبـــير والى جانبه ســير جيرالد . وتباطأ بابيت بسيارته وسار فى محاذاتهما .

وخيـــل اليه فجـــاة بان ماك كيلفى وزوجته ينظران اليه ويضحكان .. يضحكان منه ! .

وعبر بابيت عن غضبته بأن قال لزوجته حين رجع الى الدار :

ـ ان رجال الاعمال من امثالى لا يتسع وقتهم لزيارة ماك كيلفى وامثاله من العاطلين ! .

ولم يتحدثا بعد ذلك عن ماك كيلفى .

ـ ٥ ـ

كان أوفر بروك زميلا لبابيت فى الجامعة . ولكنه اخفق فى الحياة فانشا شركة للتامين فى دورشستر لم تصب شـــيئا من النجاح . وكان المسكين يعيش فيما يشبه الفاقة .

والتقى بابيت واوفر بروك فى مادبة الجامعة الســـنوية .. وتبادلا حديثا قصيرا . واستعادا ذكريات التلمذة . وقال اوفر بروك :

ـ مما يؤسف له يا جورج ان يفرق بيننا الزمن الى هـــذا

الحد . انى اكون سعيدة بان ادعوك ومسز بابيت يوما الى تناول العشاء عندى

وبنفس اللهجة المجردة من الحماسة التى استعملها ماك كيلفى من قبل قال بابيت :

ـ آه .. طبعا .. طبعا .

ونسى بابيت ما كان من امر هذا الحديث . ولكن اوفر بروك لسوء الحظ لم ينس .

واتصل اوفر بروك ببابيت تلفونيا ودعاه الى تناول العشاء ، وقال بابيت لزوجته .

ـ ان هذا الابله يجهل ابسط قواعد السلوك . : يدعونى تليفونيا الى تناول الطعام عنده وقد كان ينبغى ان تبعث الى زوجته برقعة ظريفة ولكن هذا هو ما يجنيه المرء من الاتصال بمن كان مثلهم من طبقة وضيعة

وكانت مأدبة اوفر بروك مثالا للغتور والبرود . وانصرف بابيت وزوجته مبكرين . ولم يعتذر بابيت بان زوجته اصيبت فجاة بصداع « كما فعل ماك كيلفى » وانما اعتذر بانه على موعد هام فى الصباح .

وفى الطريق الى الدار قالت مسز بابيت :

ـ ان اوفر بروك شديد الاعجاب بك يا جورج .

ـ انه يقدسنى

ـ ولكن اياك ان تدعوه الى العشاء .. انى لا احب ان اجرح كبرياءه اذ يقارن بين فقره ويسارك .. الا تعتقد انه سيتالم حين يحضر الى دارنا فيجدك على مثل هذا الغنى وهو فقير يعيش فى فاقة ؟..

ـ هذا صحيح ..

ـ وما عسى ان يقول عنا الدكتور انجوس مثلا اذا عرف ان اوفر بروك صديق لنا ..

ومر اسبوع وهما فى حيرة وقلق . يريدان ان يدعوا اوفر بروك وزوجته للعشاء ولا يريدان .. واخيرا تنهد بابيت وقال :

ـ ان من القسوة ان ندعوهما الى دارنا حتى لايشعرا بفقرهما بالنسبة الينا .. نعم .. رحمة بهما لن ادعوهما ..

ولم يتحدثا بعد ذلك عن اوفر بروك ..

الفصل السادس عشر

ـ ١ ـ

كان جورج ف. بابيت عضوا فى كثير من الاندية والجمعيات

اذ تهافتت عليه ودعته للالتحاق بها استغلالا للشهرة العريضة التى يستمتع بها .. وشعر بابيت بمكانته الاجتماعية فداخله الغرور والصلف فى بعض الاحيان .. وللمرة الاولى فى حياته انب مس ماك جاون فى لهجة شديدة ..

ولكنه كان يرتد الى حاله الطبيعية اذ ما الفى نفسه فى رفقة صديقه العزيز بول ريزلنج .. وكانا يلتقيان مرة فى الاسبوع على الاقل فيمضيان نهارهما فى لعب الجولف ومساءهما فى الحديث او العزف على القيثارة .

- ٢ -

على ان العمل العظيم الذى قام به بابيت فى هذه الايام انما هو اهتمامه بمدارس الاحد الدينية ..

كان بابيت رجلا متدينا ومن دابه الاختلاف الى الكنيسة وحضور الحفلات الخيرية التى تقام فيها .. واقامت جمعية الشبان المسيحيين حفلة خطب فيها القس الشهير الدكتور جون جنسون دروى ببلاغته المعهودة وما هو معروف عنه من ذلاقة اللسان .. فلما فرغ من عظته اقبل عليه بابيت يسوق اليه التهنئة قائلا :

- لشد ما احب ان اصغى الى العظات المثقفة التى تدل على سعة الاطلاع .

وصافحه الدكتور دروى شاكرا وقال له :

- انى احب ان اتحدث اليك يا مستر بابيت فهل لك ان تقابلنى فى مكتبى ؟..

وفى المكتب لحق به الشاعر شام فرنيك .. وبعد دقائق دخل عليهما مستر وليام ايثورن ..

ومستر ايثورن فى السبعين من العمر وهو رئيس بنك الدولة فى مدينة زينيث ومن اقدم الامريكيين الذين نزحوا الى هذه المدينة وله بين اهلها مكانة ملحوظة اذ يعد من عمدها الراسخة ..

وخاطبهم الدكتور دروى بقوله :

- رجوتكم ايها السادة ان تقابلونى فى مكتبى لانى فى حاجة الى معونتكم ورايكم . ان مدارس الاحد فى حاجة الى الاصلاح ، والمدينة فى حاجة الى بث العقيدة الدينية ، ولهذا اردت ان اقيم منكم لجنة لاصلاح هذه المدارس ، فارجوكم ان تدرسوا عيوبها ومآخذها لنعمل متكاتفين على علاج هذه العيوب ..

وامنوا جميعا على كلامه فى ارتياح ، وارتضوا هذه المهمة عن

طيب خاطر اذ كان الثلاثة من أشـــد الناس استمساكا بالعقيدة الدينية ..

- ٣ -

اذا سالت جورج ف. بابيت عن عقيـــدته الدينية اجابك فى لهجة تفيض اخلاصا وجلالا : « عقيـدتى الدينيـة هى ان أكرس حياتى لخد الانسانية وان اعامل الناس بالمحبة والتسامح وان ابذل كل ما فى وسعى لاسعاد الاشقياء والمنكوبين » فاذا الححت عليه بالسؤال واستزدته ايضاحا قال لك :

« انى عضو فى المجمع الكنائسى ، وبطبيعة الحال اومن بجميع مبادىء هذا المجمع » فاذا لم تقنع منه بهذا الجواب والححت من جديد قال : « انى ارى ان لا فائدة ترجى من المناقشات الدينية .. انها تفسد العقيدة » ..

ولـكن مهما يكن من الامر فقد بذل جورج ف. بابيت جهـدا خارقا فى القيام بالمهمة التى القاها الدكتور دروى على عاتقه .. فجعل يختلف الى مدارس الاحد ويصغى الى المحاضرات والعظات التى تلقى فيها فى صوت بارد فاتر تنقصه الحماسـة والايمـان وتتخلله عبارات الزجر للاطفال وحثهم على الالتفات والاستمـاع مما يفسد اعظم العظات اثرا :

_ ان الله قدير رحيم وهو جلت قدرته يقتص من .. ابدى .. اجلس صامتا .. يقتص من الخاطئين .. ويشمل .. فوران .. اجلس مكانك ولا تتحرك .. ويشمل برحمته المؤمنين .. ما هذه الجلبة .. علينا ان نعامل الناس بالحسنى .. اذا لم تـكف عن هذا الضجيج يا فوران ضربتك ..

وضاق بابيت ذرعا بهذه العظات السخيفة ولـكنه اضطر فى النهاية ان يهنىء المدرسة على براعتها وماتركته كلماته من الر طيب فى النفوس ..

الفصل السابع عشر

- ١ -

اثمرت دراسة بابيت لمدارس الاحد .. اذ انكشفت له عيوبها ومآخذها .. وفى يوم محدد ذهب مع الشـاعر قرنيك الى مقابلة المالى الكبير ايثورن ..

وافضى اليه بابيت بوجهـة نظره وما كشـفه من عيوب تلك المدارس والطريقة الناجحة التى يراها لتلافى هذه النقائص. وقال :

ـ والراى عندى ان تقسم هذه المدارس الى ثلاثة اقسام حسب الاعمار ، وان تخصص رتب كرتب الجيش للمترددين عليها ويرقى المرء الى رتبة اعلى اذا استطاع ان يضم الى المدرسة عضوا جديدا او ان يؤدى خدمة دينية .. ففى هذا ما يحث الملتحقين على الاهتمام بها ولا يجعل ترددهم عليها مجرد (تادية للواجب) .. نعم ان هذه المدارس فى حاجة الى دم جديد .. فى حاجة الى جذوة تحرك نشاط المترددين عليها .

وامن مستر ايثورن على هذا الكلام وارتفعت مكانة بابيت فى نظره .. وقال اصدقاء بابيت فى النادى :

ـ يدهشنا ان تصافحنا يا بابيت بعد ان صافحت المالى ايثورن ، فما دمت صديقا لاصحاب الملايين فكيف تنحدر الى ذا الدرك ؟ .. كيف تنزل الى مصافحتنا ؟ ..

وضحك بابيت ولكنه كان مزهوا فخورا ..

- ٢ -

راى جورج ف. بابيت ان الاستعانة بالصحافة امر ضرورى وان العقيدة الدينية لن ترسخ فى البلاد الا اذا ايدتها الصحافة .. لا المجلات الدينية التى لا يقراها الا عدد محدود ، وانما المقصود بالصحافة الجرائد اليومية العامة التى تقع بين جميع الايدى ..

وتحقيقا لهذا الغرض دعا جورج ف. بابيت المخبر الصحفى كينيث سكوت الذى يعمل فى صحيفة (ادفو كيت تايمز) والقى عليه محاضرة طويلة عريضة عن ضرورة نصرة الدين وتاييد الكنيسة .. وامن سكوت على هذا الكلام فى لهجة ضعيفة فاترة .. ولكن لهجته ازدادت حماسة وقوة عند ما عرف انه سينال بضع مئات من الدولارات ثمنا لهذا التاييد ..

وهكذا بدات صحيفة ادفو كيت تايمز تنشر مقالات ملتهبة تدعو فيها الناس الى الاستمساك بالعقيدة الدينية ..

وتردد سكوت على منزل بابيت مرة وتعرف بابنته فيرونا وبعد ذلك تردد مرارا ..

اكتشف سكوت وفيرونا ان كلا منهما يفهم صاحبه وانهما اشتراكيان ، وان لهما نفس الاراء فى التقاليد والاجتماع والدين .. ولولا خوف فيرونا من ابيها لصارحته بان الدين لا فائدة منه فى العصر الحديث .. ولولا اشفاق سكوت من ان يخسر مئات الدولارات التى بدات تتدفق الى جيبه لصارحه بان الدين لا يتفق والمدنية .. ولكنهما بدلا من ذلك اخذا يطعنان من الطعن (امام بابيت فقط) على الملحدين والاشتراكيين ..

طلب بابيت الى الصحفى سكوت ان ينشر كلمة يطرى فيها الدكتور «دروى» ويمجد تضحياته واعماله التى يقوم بها فى سبيل نصرة الدين .. وابتسم الصحفى الخبيث وقال :

ـ ان «دروى» يهتم بنفسه وليس فى حاجة الى هذه الدعاية .. انه يتولاها بنفسه ..

ـ واى ضير فى هـذا ؟.. امن العار أن يمجد رجال الدين انفسهم ؟.. وان يحركوا الصحف للثناء عليهم ؟..

ـ طبعا لا ضير فى هذا .. ولكنى كنت اظن انه زاهد فى الدنيا واعراضها الزائلة بصفته من رجال الدين ..

ولما ظهر مقال سكوت متضمنا ابلغ الثناء على الدكتور «دروى» اسرع اليه بابيت وافهمه انه هو الذى اوعز الى الصحفى بكتابة هذا المقال وعقب على هذا قائلا :

ـ انى ارى يادكتور «دروى» ان تقيم مادبة احتفالا بما احرزناه من نجاح فى تنظيم مدارس الاحد .. ولابد من ان تدعو مستر ايثورن الى حضورها ..

واقيمت المادبة .. وحضرها ايثورن ..

وجمع الدين بين ايثورن وبابيت . وكان المالى الكبير شديد الاعجاب بجهود بابيت وايمانه الراسخ ..

وبعد شهور احتاج بابيت الى الاقتراض للقيام ببعض الصفقات فلم يقترض من مصرفه الخاص وانما قصد الى رفيقه الدينى مستر ايثورن ، وافضى اليه بغايته وبان الصفقة التى سيعقدها ينبغى ان تكون ذات صفة سرية لانها متعلقة بشراء الاراضى التى ستخط فيها الحكومة الطرق الجديدة ..

وقدم مستر ايثورن القرض المطلوب .. وقدمه بصفة سرية فلم يدرجه فى دفتر البنك .. وهكذا تقاسم الاثنان الربح المنتظر، ولم تعد الشركة القائمة بينهما قاصرة على الاعمال الدينية ..

وعقب هذا القرض اخذ بابيت يتردد على الكنيسة بانتظام ولم تكن تمضى ليلة الا خاطب ابنه تيد بقوله :

ـ اسمع يا تيد .. فى خدمة الكنيسة يلتقى الانسان باصدقاء اقوياء يمهدون له ما يستحق من مكانة فى المجتمع ، فاحرص يابنى على خدمة الدين والكنيسة ..!

الفصل الثامن عشر

- ١ -

كان بابيت يرى اسرته مرتين فى اليوم .. وكان يدفع اليهم

النعود مرات فى اليوم ومع ذلك مرت عليه أسابيع كاملة وهو لا يحس لهم وجود .. كان كمن يعيش فى عالم آخر .

ولكنه شعر بوجود فيرونا اذ لفت بصره اليها ولعها بكينيث سكوت ..

كانت فيرونا قد بلغت الآن منصب سكرتيرة مستر جرونسبرج فخشى بابيت ان يدفعها هذا الولع الى التخلى عن عملها لتقترن بكينيث .. واشار يوما الى هذا الراى تلميحا فقالت فيرونا :

ــ ان ما بينى وبين كينيث لا يعدو مجرد التفاهم ، ان العواطف سخافة تفسد كل شىء ..

وكان تيد هو اكثر افراد الاسرة اثارة لمخاوف بابيت .. كان ضعيفا فى اللاتينية وفى آداب اللغة الانجليزية القديمة .. ولكنه كان بارعا فى الاعمال اليدوية وفى الرقص ولعبة الباسكت بول .. كما كان بارعا فى الميكانيكيات (لسوء الحظ) اذ جعلته هذه البراعة يلح على ابيه بأن يبتاع له سيارة خاصة .. على ان الكارثة الكبرى كانت اهتمامه بالجارة الصغيرة اونيس ليتل فيلد ..

وعلى الرغم من أن اونيس هى ابنة العلامة هوارد ليتل .. الا انها كانت على نقيض ابيها فارغة العقل لا تحب من دنياها الا الرقص والسينما ولم يكن ينقضى يوم دون أن تزور منزل بابيت فاذا ماوجدت الاب جالسا يطالع صحيفته انتزعتها من يده واخفتها واخذت تحدثه عن السينما وعن رغبتها فى ان تصبح ممثلة سينمائية ..

واونيس فى السابعة عشرة من العمر موفورة الشباب ناضجة الصبا تكشف عن سيقانها الفتانة بطريقة تزعج بابيت ويسر لها ابنه تيد .. وفى بعض الاحيان كان بابيت يتصور فتاة احلامه على صورة اونيس ليتل فيلد .. ولكنه لم يجرؤ على ان يحذر ابنه من هذه الفتاة المرحة المستهترة التى تصبغ شفتيها وان ينبهه الى ان صحبتها هى التى تفقده القدرة على الدرس والتحصيل .

كان بابيت مثالا للأب : عطوفا .. جمجاعا .. صلب الراى .. ضعيف الراى .. عنيدا .. طيعا .. خبيثا .. طيب القلب .. عليما بما يجرى فى الدار .. وجاهلا بما يجرى فى الدار .. وكان كمعظم الآباء ينتظر ويتريث حتى اذا وقع الخطا بدا يتكلم .. وكان يبرر موقفه بقوله :

ــ ان والدة تيد هى التى تفسده ، نعم هى التى تفسده .. اذا اردت أن افهمه شيئا وان أصلح اخطاءه لامتنى وزجرتنى .. ما

- ٢ -

أقام تيد حفلة ساهرة لتلامذة فصله بمناسبة قرب انتهاء السنة الدراسية .. وتمنى بابيت لو اشترك في تنظيم هذه الحفلة ولكن زوجته احتكرت تنظيمها ولم تشركه في مداولاتها مع ابنها ودخل عليهما بابيت يوما فقال :

ـ اتسمحان لي بان ابدى رايا ؟..

فقاطعته مسز بابيت بقولها :

ـ أليس لي الحق في ان اتبادل الراى مع تيد ؟.. انه رجل فلا تفسده بتدخلك ..

وفي ليلة المادبة تصور بابيت ان الفتيات سيدخلن الى احدى الغرف وينزعن عنهن الكورسيه كماكان شأن الفتيات في العهد الماضي .. ولهذا دهش حين رآهن ممشوقات القوام موفورات النشاط لا يدل قوامهن على انهن ممن يستعملن الكورسيه ،واشتدت دهشته حين راى لهن جميعا نفس الشفاه الحمراء ونفس الحواجب الرفيعة ونفس الوجوه المتشابهة التي لا تتميز بعضها عن بعض .

على ان الشيء الذى اذهله واغضبه هو انه لاحظ ان الفتيات والفتيان كانوا يتسللون الى الحديقة من لحظة لأخرى .. فعجب للامر ونزل الى الحديقة وانزوى في ركن مظلم .. كانت السيارات مطفأة الانوار ومن داخلها ترتفع الضحكات مصحوبة بعبارات من هذا القبيل : « املا لي كاسا اخرى » لا تفرطي في الشراب ..

وذكر بابيت ما سمعه من بعض الاصدقاء : قيل له يوما ان الفتيات الحديثات يحتسين الخمر وان طلبة الجامعة يحملون الخمر في جيوبهم الخلفية في زجاجات صغيرة ..

وتسلل بابيت راجعا الى المنزل وهو في حيرة من امر هذا الجيل الجديد ..!

وجاء الدكتور هوارد فيلد وطلب استدعاء ابنته لان امها تشعر بصداع ، ولما اقبلت اونيس على بابيت تصافحه شم رائحة الخمر تفوح من فمها فقال في نفسه :

ـ في السابعة عشرة وتحتسي خمرا ؟. يا الهي ! انها هي التي تفسد تيد ..!

ولكنه بعد قليل شم رائحة الويسكي تفوح من فم تيد ..

وفترت بعد هذا العلاقات بين اسرتي بابيت وليتل فيلد . وندر حضور اونيس الى دار بابيت .. واذا ما حضرت قالت في صراحة ان اهلها يمانعون في هذه الزيارات لانهم يعتقدون ان تيد افسد اخلاقها ..

وتنهد بابيت ولم يجرؤ على ان يصارحها بانه يعتقد انها هى التى افسدت أخلاق تيد ..

- ٣ -

قال تيد مخاطبا اويس
- الشيء الذى يدهشنى فى ابى هو انه يعيش فى هذه الدنيا وكأنه من عالم آخر .. فى كل مساء يلزم البيت ويجلس فى قاعة الاستقبال ويغالبه النعاس . فاذا قلت له انا او رون : « تعال يا ابى نفرجك على ملهى جديد » اجابنا وهو يتثاءب : « كلا . انى افضل البقاء هنا » . انه لا يعرف ان فى الدنيا مسرات ومباهج . انه يعتقد ان العالم عبارة عن مكتب لادارة العمل وساعة يلعب فيها الجولف مره فى الاسبوع . وهذه هى الحياة عنده .. دائما جالس فى البيت .. دائما جالس فى البيت . لا يحب ان يذهب الى أى مكان .. ويعتقد انى ورون مجنونان معتوهان ، يا الهى ..! كأنه حى ميت !

- ٤ -

فى نفس الوقت كان بابيت يتحدث الى زوجته قائلا :
- يدهشنى من امر رون وصاحبها سكوت انهما لا يكادان يخرجان : دائما فى البيت .. دائما فى البيت .. يتبادلان الحديث ولا شيء اكثر من هذا ! الا يعلمان ان فى الدنيا مسرات ومباهج ..! واذا ما سمعانى أفكر فى الخروج ظنا انى معتوه مجنون ..! يا الهى .. انهما من الاحياء الاموات !

- ٥ -

حضرت ام بابيت المقيمة فى الارياف لتمضى ثلاثة اسابيع عند ابنها ..
وهى امراة كريمة القلب على شيء من السذاجه . واعجبها من فيرونا انها لا تكاد تغادر البيت وانها ليست من طراز الفتيات العصريات ذوات الادمغة المحشوة بالترهات .. وعندما دخل تيد ملوث اليدين بالزيت والشحم ولوث بهما بعض المقاعد أعجبها منه انه مولع بمساعدة ابيه فى الدار بدلا من قضاء الليل فى الخارج يعربد مع الفتيات المستهترات .
وكان بابيت يحب امه ويعجب بتسامحها . وعطفها . ولم

يكن يغيظه منها الا تقديسها للبطل العظيم الذى لم يخلق الله بطلا مثله .. اى ابوه ..!
فقد كانت لا تفتا تقول :
ـ لقد فعل ابوك كذا .. وفعل ابوك كيت .. ورأى ابيك فى هذا كذا وكذا .. وابوك هو الذى ..
دائما ابوه . كانما يعيش فى دنيا ليس فيها الا ابوه
وجاء مارتن (شقيق بابيت) للاقامة عند اخيه بضعة ايام ومعه زوجته وطفله .. ومارتن يقيم فى قرية كاتوبا يربى الماشية ويدير حانوتا صغيرا للبقالة . وكان فخورا مزهوا باستقلاله وبخشونته وبدمامته وبعدم فهمه لآداب السلوك . وكانت عبارته التى لا يفتا يرددها هى قوله : « بكم اشتريت هذا ؟ » ووجه هذا السؤال بشأن قلم بابيت الابنوس وكتب فيرونا والازهار الموضوعة على المنضدة والقميص الذى يلبسه بابيت .. وحتى المبصقة لم ينس ان يسأل عن ثمنها . وود بابيت لو هشم رأسه . ولكنه كظم ما بنفسه احتراما لامه . وكانما اراد ان يشفى غليله فاخذ يداعب ابن اخيه الصغير بقوله :
ـ هذا الرضيع ابله .. ومغفل .. ولا يفهم شيئا ..
وفى نفس هذا الوقت كانت فيرونا وكينيث منزويين فى ركن القاعة يتباحثان فى نظرية النشوء والارتقاء . على حين كان تيد منهمكا فى تانيب تينكا لانها مزقت له كتابا . اما تينكا فكانت باكية دامعة العينين تطالب اباها بأن يسمح لها بالذهاب الى دور السينما ثلاث مرات فى الاسبوع « كغيرها من الفتيات »
وثار بابيت غضبا وقال لزوجته فيما بينهما :
ـ يا الهى .! لقد سئمت هذه الحياة . فى البيت ثلاثة اجيال من الاعمار . ويجب ان احسن معاملتهم جميعا . يجب ان اكون طفلا وشابا وكهلا وعجوزا . هذا شىء لا يطاق .! وكلهم يعتمدون على .. امى تطالبنى بنقود .. هنرى تومسون يحدثنى بسخافاته . ميرا تكاشفنى بمتاعبها المنزلية . ومارتن يريد منى ان ابدى اعجابى بعقليته . وارمى بالتطفل اذا اردت ان الفت الاولاد الى خطأ تصرفاتهم . كلهم يعتمدون على وليس فيهم من يشكرنى او يعترف بالجميل يا الهى .! شىء لا يطاق ! متى انجو من هذه المتاعب .!
وفى شهر فبراير سره أن نزل به المرض . وسره انهم بداوا يهتمون به وينزعجون من اجله .
فى خلال يومين كاملين أصبح السيد المطلق وهو راقد على فراشه كلهم خاضعون لرغباته مطيعون لاوامره ونواهيه . وسحروا

له بان يزعق فيهم : « ابعدوا عنى . اغربوا من أمام وجهى .! »دون ان يعترض احد منهم على قوله او يستشف اهانة فى هذه الكلمات.

وارسل بصره الى الحديقة من خلال النافذة وهو طريح الفراش وراى اوراق الاشجار تتساقط تحت وطأة الشتاء . فتنهد وشعر بالحياة شعورا جارفا . وكان حزينا .

ولاح له ان حياته كانت آلية . وعمله آلى سخيف . بيع بيوت قديمة مهدمة . والدين آلى فاتر . دراسة مملة سخيفة فى الكتب لا صلة لها بالقلوب الشقية المنكوبة وما حلت الدور من نكبات وكوارث . والجولف آلى . والمادب . والاحاديث التى تدور فى السهرات . والصداقة آلية فيما عدا صداقته ببول ريزلنج .

وتمايل فى فراشه وتمتم يقول :

ـ لا اريد ان ارجع الى العمل . اريد ان ... أوه ... انى لا ادرى ما أريد .!

ولكنه ذهب الى مكتبه فى صباح اليوم التالى .

الفصل التاسع عشر

- ١ -

عندما اعتزمت شركة النقل انشاء مصنع لها فى دورشستر، اكتشف ان شركة بابيت وتومسون اشترت سرا الاراضى المزمع انشاء المصنع عليها . وغضبت الشركة ورفع بابيت الاسعار . وهددته الشركة بابلاغ الامر للقضاء وطلب تعيين خبراء . ولكنها لم تتقدم بأية شكوى بل دفعت الثمن المطلوب لعلمها بأن فى دفاترها وملفاتها مبالغ ورسائل تكشف للمحكمة علاقاتها السرية مع كبار الموظفين واذا ما انفضحت هذه العلاقات قضى على مستقبل الشركة قضاء تاما .

وعقب انجاز هذه الصفقة اودع بابيت فى البنك ثلاثة آلاف دولار واشترى مندوب الشركة لنفسه سيارة فاخرة بخمسة آلاف دولار . وشيد وكيل الشركة لنفسه دارا جميلة فى ديفون . أما رئيس الشركة فسافر الى اوروبا فى رحلة على حسابه الخاص انفق فيها عن بذخ واسراف .

وما فرغ بابيت من هذه الصفقة حتى اكتشف ان فى مكتبه رجلا غير شريف . ولم يكن هذا الرجل الا ستانلى جراف .

بدا بابيت يرتاب فى جراف منذ زمن غير قصير : كان ينكث وعوده للمستأجرين . ولكى يؤجر البيت يعد باصلاحات لم يصرح بها المالك . وارتاب بابيت فى أنه كان يضمن قائمة الاثاثات الموجودة

فى البيوت التى يؤجرها قطعا ليست فى البيت . فاذا ما انتهى العقد طالب جراف المستأجر بأثمان هذه القطع المدسوسة واحتفظ بالثمن لنفسه .

وفى ذات يوم دخل على بابيت احد العملاء غاضبا فأنباه انه استاجر بيتا من جراف وبعد ان ذيل العقد بتوقيعه وعده هو بامضائه من المالك وارساله اليه . وفى صباح اليوم التالى حمل البريد العقد الى بيت العميل . وكان هذا غائبا عن داره . وبعد ساعه حضر جراف واسترد الخطاب من الخادمة بحجة انه ارسله خطأ الى مستر فارنى » وهو اسم العميل «

واتصل فارنى بجراف فلم ينكر هذا ما حدث وعلل الامر بأنه وجد عميلا آخر رضى ان يستاجر البيت بقيمة اعلى فلم ير مناصا من استرداد العقد .

وغضب بابيت حين سمع هذه القصة وقال لمستر فارنى :

ـ كن مطمئنا يا سيدى اعتبر ان البيت اجر لك فلن اؤجره لسواك مهما دفع .

ـ ويجب ان نطرد سكرتيرى جراف عقابا له .

ـ وسأطرده يا سيدى وسأعيد اليك العمولة التى دفعتها .. كلا . كلا . يجب ان اعيد اليك العمولة على سبيل الترضية .. يا الهى !. ايكون فى مكتبى رجل غير شريف !. يا الهى !. ايكون مساعدى خرب الذمة !. لا بد ان اطرده !

وخرج مستر فارنى يثنى على ما لمسه فى مستر جورج ف. بابيت من شرف واستقامة ونزاهة .

- ٢ -

قال بابيت يخاطب مساعده جراف :

ـ كيف تقدم على هذه العملة ؟

ـ صيانة لمصلحة الشركة .. عرض على سعر اعلى فلم اتردد فى قبوله وسحب العقد .

ـ تبا لك !. كيف تجرؤ على هذه الفعلة وانت تعمل فى مكتبى وتحت ارادتى !. الا تعلم ان عملك غير شريف ؟. بعد هذا لا استطيع ان استعين بك !.

فنظر اليه جراف فى قحة وجراة وقال :

ـ اذن فقد طردتنى ايها المتدين الشريف !. ايها التقى النقى الورع ! لا انكر انى اختلست بعض المال . ولكن أكان يسعنى ان أفعل غير هذا وانا اشتغل فى هذا المكتب ؟.

ـ جراف . صن لسانك عن ..

ـ هدىء من روعك فانى لا أخافك . واصغ الى ما أقول والا زعقت بملء صوتى واسمعت جميع من بالمكتب .. انك انت الذى جرأتنى على السرقة والاختلاس بالاجر التافه الذى تدفعه الى !. انك انت الذى علمتنى الغش والخداع اذ لم تمنحنى المرتب الذى استحق !. وبعد ذلك تصفنى بأنى رجل غير شريف !. وما رأيك فى عملية شركة النقل الاخيرة !. لو انى افضيت الى النائب العمومى بما أعرف لارسلك وارسلنى معك الى السجن ايها النقى الطاهر !.

ـ اسمع يا ستان .. انك تعرف ان هذه الصفقة شريفة ليس فيها ...

ـ نعم .. شريفة ايها الرجل الفاضل الامين .. اسمع . اذا خطر لك أن تعرقل التحاقى بالشركات الاخرى فسأتكلم وافضى الى الناس بما اعلم . سالتحق الآن بشركة مديرها لص مثلك .. والفرق الوحيد بينكما انه لا يتحدث عن الدين أو المثل الاعلى !

- ٣ -

كان حديث ستانلى جراف صدمه لا يتوقعها بابيت فاستقر عزمه على تمضيه بضعه ايام فى شيكاغو للراحه من عناء الاعمال .. فسافر اليها وفى صحبته ابنه تيد اذ كان فى عطلته الاسبوعية المدرسية .

وشعر بابيت بالحريه فى شيكاغو . وخيل اليه انه خلق خلقا جديدا . وتحدث الى ابنه عن عصبه الامم . وما تبذله من جهود فى تقويه الدول الكبرى وسحق الدول الصغرى . ثم حدثه عن كينيث سكوت وتقاعده عن طلب الزواج من فيرونا .

وقال تيد :

ـ يخيل الى انه سياتى يوم اذهب فيه الى هذا الفتى الخجول وآخذ بيده الى الكنيسة لازوجه من اختى .

وقال بابيت :

ـ وانا ايضا جرى هذا الخاطر ببالى .

وتنهد الاثنان وضحكا .. وكانا سعيدين

وقال تيد لأبيه :

ـ أسمعت يا ابى حكاية القاضى الذى افرط فى السكر !.

وقص عليه تيد الحكاية وضحكا طويلا .

وانتهت عطلة تيد المدرسية فرجع الى بيتيت وبقى بابيت وحده فى شيكاغو

كان جالسا فى بهو الفندق وفى وجهه امارات الضجر والسآمة بحس وحشة الغربة وقد زايله هناؤه الذى شعر به فى وجود ابنه . وحانت منه لفتة الى رجل يجلس على كثب منه وفى وجهه ايضا دلائل الانقباض والملل .
وحملق بابيت فى الرجل .. انه لم يكن الا سير جيرالد دوك ملك الحديد فى بريطانيا والصديق الحميم للمليونير ماك كيلفى .
وفى غير تردد مشى بابيت الى ملك الحديد ومد اليه يده يصافحه وهو يقول :
ـ كيف حالك يا سير جيرالد ..؟ لقد التقينا فى زينيث فى احدى مآدب شارل ماك كيلفى .. اننى ادعى بابيت .. سمسار عقارات .
وتصافح الرجلان .. واستولت الحيرة على بابيت ولم يدر كيف يتراجع فقال :
ـ اظنك قمت برحلة طويلة بعد ان غادرت زينيث ؟ .
ـ نعم .. سافرت الى كولومبيا البريطانية .
ـ وما هى الحالة الاقتصادية هناك ..؟
ـ سيئة .. العاطلون كثيرون.
ـ هذا شىء يؤسف له
ثم اردف بابيت قائلا :
ـ اتنتظر احدا من رجال الاعمال يا سير جيرالد ..؟
ـ رجال الاعمال .. اوه .. كلا . الواقع انى كنت افكر فى الكيفية التى امضى بها السهرة . اذ لا اعرف احدا فى شيكاغو .. الا تعرف مسرحا طيبا ..؟
ـ آه طبعا .. ان فى الاوبرا رواية موسيقية رائعة
فقال سير جيرالد فى شىء من التردد :
ـ الاوبرا ..! ايدهشك ان تعلم انى امقت الاوبرا ..؟ انى افضل الذهاب الى السينما .
ـ عال ..! وانا ايضا احب السينما اذا اذنت لى بمرافقتك
ـ بكل ارتياح .
ـ فى سينما جرانثام فيلم عن العصابات بطله بيل هارت .
ـ عال جدا .. انى احب روايات العصابات .. هيا بنا .
وراق الفيلم لسير جيرالد فلما خرج من دار السينما قال لبابيت :
انى شاكر لك ارشادى الى هذا الفيلم .. صدقنى انى لم ابتهج منذ اسابيع الا الليلة .. مذ حضرت الى الولايات المتحدة

وأنا منهمك فى المآدب والحفلات .. انهم لا يسمحون لك بالذهاب الى السينما .
ـ تماما .. انت تحفة نادرة يا سير جيرالد .. انى مثلك امقت المآدب والحفلات .
وبلغ من حماسة بابيت انه نسى نفسه .. ونسى انه يخاطب ملك الحديد .. ونسى الالفاظ المهذبة التى اعتاد ان يلقيهـا فى حديثه .!
واقترح بابيت ان يذهبا الى مطعم يعرفه لتناول العشاء
ـ وفى هذا المطعم يقدمون الويسكى .. اعنى اذا كنت ممن يشربون .
فقال سير جيرالد :
ـ وما الداعى الى الذهاب الى المطعم .؟ ان فى غرفتى صندوقا من الخمر فهيا بنا الى الفندق !
وعلى مائدة الشراب خلعا عنهما قيود الرسميات والتقاليد .
وقال سير جيرالد :
ـ الشىء الوحيد الذى ابغضه فى الولايات المتحدة هو المآدب والتقاليد والتكلف .. اجلس معتدلا .. واتكلم بالفاظ منتعاه .. ولا اقص من النوادر الا ما كان مهذبا . وبهذه المناسبة الا تعرف حكاية ظريفة ؟
ـ اعرف .. ولكنى اخشى ان اجرح سمعك .
ـ اوه ! تكلم .. تكلم .. واذا كان فى حكايتك تبذل واستهتار فهذا ما احب .
وقص بابيت حكاية اعقبتها حكايات .. وضحكا طويلا .
وخلع ملك الحديد جاكتته ثم حذاءه وجعل يفرغ فى جوفه الكأس تلو الكأس . وقال :
ـ تصور ان مسز ماك كيلفى سالتنى عن المتاحف التى فضلتها فى فلورنسا مع انى لم ازر فيها ولا متحفا واحدا .! ما شـانى انا والمتاحف انى احب السينما والخمر وشيئا من اللهو . ان مسز ماك كيلفى ظريفة ، واذا اقلعت عن تكلفها كانت أكثر ظرفا .
وأمضى بابيت فى غرفة سير جيرالد ثلاث ساعات يحتسيان الخمر ويضحكان ويتبادلان الحديث وقد نسيا الدنيا وما فيها من رسميات وقيود .!
وعند الاعتراف قال ملك الحديد :
ـ هذى اسعد ليلة امضيتها فى الولايات المتحـدة . كانوا يعاملوننى جميعا كانى ملك غير متوج . اما أنت فعاملتنى كصديق .

ومما يؤسف له انى مضطر الى السفر فى صباح الغد . ولكنى اكون سعيدا اذا نزلت على ضيفا فى نوتنجهام اذا زرت يوما انجلترا .
ولم يغمض لبابيت جفن فى تلك الليلة بل جعل يفكر فى هذه الصدفة السعيدة التى وثقت العلاقات بينه وبين ملك الحديد ، وانتوى اذا ما رجع الى زينيت أن يحدث اصدقاءه فى النادى بما كان من مقابلته لصديقه العزيز سير جيرالد دوك . وتصور نفسه وهو يقول لمسز ماك كيلفى :
ـ انك تصبحين اشد ظرفا اذا أقلعت عن التكلف والعجرفة .. كما قال لى جيرالد دوك عندما كنا فى شيكاغو ... نعم أن جيرى صديق قديم لى .. وانى أفكر وزوجتى فى السفر الى انجلترا لتمضية بضعة أيام فى قصره .

الفصل العشرون

- ١ -

فى الليلة التالية ذهب بابيت الى مطعم ريجنسى فأذهله أن رأى أمامه صديقه بول ريزلنج جالسا الى احدى الموائد يغازل امراة تجاوزت طور الشباب . وكانت المراة تضحك ضحكات ممجوجة أثارت أعصاب بابيت .. واشتدت غضبته حين رأى بول يمسك بيد المراة ويحاول أن يقبلها غير مبال بالجالسين فى الفندق .
وتقدم بابيت من بول ولمس كتفه فقطب هذا جبينه حين رأى صاحبه . وقال بابيت :
ـ اين نزلت يا بول ..؟
ـ فى فندق كامبل .
ـ وحدك ..؟
وكانت لهجته تنطوى على شىء من التعريض والتلميح . فقال بول فى غضب مكتوم :
ـ طبعا وحدى ..! لسوء الحظ .! دعنى اقدمك الى مسز ارنولد . صديقى جورج بابيت .
فقال بابيت فى لهجة خالية من الحماسة :
ـ يسرنى ان اقابل اى صديق او صديقة من اصدقاء مستر ريزلنج . أريد ان اقابلك الليلة يا بول .
ـ انى أفضل أن نتغدى معا فى الغد .
ـ اما انا فأفضل ان القاك الليلة ... وسأنتظرك فى فندقك حتى تحضر ..

عندما التقى الصديقان قال بابيت مخاطبا صاحبه :
ـ ما بالك يا بول متجهم الوجه وتخاطبنى فى لهجة شديدة .؟
ـ وانت ما بالك تتدخل فى شئونى وتقحم نفسك فيما لا شأن لك به ..؟
ـ بول .! اهده طريقتك فى مخاطبة الاصدقاء ..
ـ لم يعجبنى اسلوبك فى مخاطبة مسز ارنولد .
ـ وانا لم يعجبنى مغازلتك لها .. ولا استطيع ان استسيغ كيف تخون زوجتك وتغازل امراة من هذا الطراز مهما كانت زيلا مشاغبة متحرشة ..!
فقال بول فى تهكم :
ـ يا لك من مثل اعلى للزوج المخلص .!
ـ طبعا . وهل تنكر على ذلك ..؟ انى لم اتطلع الى امراة منذ تزوجت بميرا ولن انطلع .. ليس فى العالم ما هو اجمل من الفضيلة! الا تعلم يا رجل ان هذه العلاقات كفيلة بان تزيد زيلا استمرارا على المشاغبة ؟
فصاح بول فى انفعال :
ـ اسمع يا جورج ... انك رجل سليم الطوية ولا تعرف عن الفضيله اكثر مما تعرفه ابنتك الصغيرة تينكا . ولكن يجب ان تفهم ان زيلا هى التى دفعتنى الى هذا الموقف بمشاغباتها واستجوابها وتحرياتها ... اذا كنت فى بيتى لا القى الهناء الذى انشد . فلماذا لا ادير وجهى الى امراة اخرى .؟ نعم ان مسز ارنولد ليست جميلة وليست شابة فتية . ولكن حسبى منها انها تفهمنى وانها تسرى عنى همومى ومتاعبى

ـ واظنها من اولئك الزوجات اللائى لا يفهمن الازواج .؟
ـ لقد مات زوجها فى الحرب . وهى امراة عطوف رقيقة . وعندما افضى اليها بهمومى تحنو على كانى طفل صغير فهل تنقم على انى اتلمس الهناء حيث اجده ؟
فاثرت هذه الكلمات فى نفس بابيت وقال :
ـ انى آسف يا بول ، انى على استعداد لان اسدى اليك اية خدمة فهل فى وسعى ان افعل شيئا ؟
ـ نعم فى وسعك ... بدات زيلا ترتاب فى امرى وتعجب لطول غيبتى ... فاذا ما عدت الى زينيت فاذهب اليها وانبئها انك قابلتنى وانى منهمك فى العمل . فانى اخشى أن تحضر فى اثرى

لتتجسس على . فاذا فعلت ذلك امكنني ان امضى اياما اخرى مع مسز رتولد

ووعده بابيت بان يحسن عنه الشـــهادة حتى يتيح له اطالة اقامته مع عشيقته .

ولم ير بابيت فى قيامه بهذه المهمة اية منافاة للفضيلة بصفته نصيرها فى مدينة زينيت .

الفصل الحادى والعشرون

- ١ -

عقد نادى بوسترز اجتماعه السنوى فى تلك الايام وكان جورج ف. بابيت من خطبائه البارزين

ونادى بوسترز لا يهتم بالاعمال الثقافيه او التهذيبيه وانمـا يكرس وقته لتبديد هموم اعضائه وبعث المسرة فى قلوبهم . فـلم يكن اجتماعه السنوى عبارة عن خطب تلقى او محاضرات تذاع . وانما كان عبارة عن مسابقات على غايه من الغرابة والشذوذ فقدمت الجوائز الى اقبح الاعضاء وجها . والى اجملهم ، والى اكثرهم بدانة . والى اشدهم نحافة وفى الليله التالية رقص كثـيرون من الاعضاء رقصات المهرجين والمضحكين اما الليله الثالثـــه فكانت مباراة بين الاعضاء فى التنكيت . ومنحت عدة جوائز لاصــحاب اظرف الحكايات .

ولكن على الرغم من هذا المجون كان نادى بوسترز يعتبر اكبر اندية مدينة زينيت اذ يضم رجال الاعمال والصناعات فيها . ولا تباح عضويته الا لمن كان عضوا فى الغرفة التجارية .

وفى الاجتماع الاخير للنادى انتخب جورج ف. بابيت وكيــلا للنادى وتلقى بابيت النبا فى ابتهاج عظيم . حتى لقـــد خيل لمن يسمعه يتحدث انه انتخب رئيسا للجمهورية . وخيل اليـه وهو يسير فى الطرق ان الناس يومئون اليه ويقولون :

ـ انظروا . .! هذا هو الرجل العظيم . . هذا هو وكيل نادى بوسترز .

ولما ذهب الى مكتبه استدعى اليه سكرتيرته مس ماك جاون وقال لها وهو يفرك كفيه سرورا :

ـ هنئى رئيسك يا مس ماك جاون .! لقد انتخبت وكيلا لنادى بوسترز .!

ولكنها خيبت رجاءه ، اذ نظرت اليه فى بلاهة ولم تهنئه بكلمة واحدة وانما قالت :

ــ لقد سالت عنك مسز بابيت اكثر من مرة !

اما مساعده الجديد فريدز وبلنجر (الذى استخدمه بدلا من ستانلى جراف) فقد اقبل عليه يقول :

ــ انتخبت وكيلا لنادى بوسترز . تهانئى القلبية .! هذا شىء عظيم ! اهنئك بكل جوارحى .!

وللمرة الاولى ايقن بابيت ان فريدز كفء فى عمله ، وانه يستحق علاوة .

ولما اتصل تليفونيا بزوجته قال يخاطبها :

ــ سمعت انك سالت عنى . ولكن يجب ان تتأدبى فى حديثك. انك الآن تخاطبين رجلا عظيما .! تخاطبين وكيل نادى بوسترز .!

ــ اسمع يا جورج .!

ــ بل اسمعى انت .! ان رئيس النادى ينوى الاستقالة . وعند ذلك سينتخب جورج العظيم رئيسا بدلا منه .

ــ اسمع يا جورج .. ان ...

ــ بل اسمعى انت ...

ــ ان بول ريزلنج ..

ــ طبعا .. ساتصل ببول ريزلنج وازف اليه النبأ العظيم .

ــ اوه .! جورج .. اسمع .. ان بول فى السجن .. اطلق الرصاص على زوجته « زيلا » بعد ظهر اليوم .. وحالتها خطرة .

ــ ٢ ــ

رفض بول ريزلنج ان يقابل صديقه بابيت حين ذهب اليه فى السجن فما كان من هذا الا ان استصدر امرا بالزيارة من العمدة دون حاجة الى الرجوع الى راى السجين .

وكان بول جالسا على فراشه واجما وفى وجهه امارات الذهول . واقبل عليه بابيت قائلا :

ــ لا تحزن يا بول ؛ لقد نالت زيلا ما تستحق .

فهز بول راسه فى اسى وقال :

ــ دع زيلا وشأنها .. ما يدريني انها هى ايضا لم تكن سعيدة معى : بعد ان اطلقت عليها الرصاص حزنت لاجلها وارتميت عليها اقبلها واحاول ان امنع نزيف الدماء .. مسكينة زيلا .. لست ادرى كيف طاوعنى قلبى على الاعتداء عليها .. لقد حاولت ان

اركب معها سيارة الاسعاف فلكمنى الشرطى على وجهى وردنى عن اللحاق بها .

فقال بابيت :

ـ هدىء من روعك يا بول ودع هذا الحديث .. سأذهب الان الى مقابلة محاميك مستر ماكسويل لاستفسر منه عما ينوى ان يفعل ..

سار بابيت الى مكتب المحامى وهو يفكر فى ان الحياة فقدت بهجتها وقد زج بول فى السجن ..

واستقبله المحامى فى فتور فقال له بابيت :

ـ انك تعرف ان بول اعز صديق لى .. بل صديقى الوحيد. فهل يمكننى ان اؤدى له اية خدمة .؟ ما رايك فى ان أتقدم الى المحكمة واشهد ان زيلا هى التى شهرت المسدس فى وجهه فلما حاول ان ينتزعه منها انطلقت رصاصة واصابتها .

فقال المحامى فى لهجة صارمة :

ـ اتريد ان تشهد شهادة الزور .؟ انها عمل غير شريف ..!

ـ شهادة الزور .؟ آه صحيح .. ولكن اذا كانت لها فائدة فانى لن اتردد .

ـ لا فائدة لها . واذا اردت ان تخدم صديقك فاهتم بشؤونك ودعنى اهتم بشؤونه .

وخرج بابيت من مكتب المحامى آسفا لانه لم يمكنه من ان يشهد شهادة الزور .

ـ ٣ ـ

لم تستغرق محاكمة بول وقتا طويلا فقد اعترف بجريمته فى بساطة وقال ان زوجته اهاجت اعصابه وجعلت تؤنبه وتزجره دون اى مبرر فطاش صوابه وتناول مسدسه واطلق عليها النار .

وبعد دفاع بارع من المحامى ماكسويل اعتبرت المحكمة ان بول ارتكب جريمته وهو فى حالة عصبية شديدة وحكمت عليه بالسجن ثلاثة اعوام .

واقتيد بول الى السجن . وغادر بابيت دار المحكمة وهو يشعر بان الدنيا اصبحت مظلمة ومزعجة .

الفصل الثانى والعشرون

ـ ١ ـ

انهمك جورج ف. بابيت فى العمل من شهر مارس الى شهر يونيو فانقذه عمله من التفكير . وكان جيرانه ظرفاء يختلفون الى

داره او يختلف الى دارهم فيمضون الوقت فى لعب البـريدج او التردد على دور السينما ...

وفى شهر يونيو سافرت مسز بابيت وابنتها تينكا لتمضيـة بضعة اسابيع عند اقارب لهم فى شرق امريكا . واصبح بابيت حرا يفعل ما .. الواقع انه لم يكن يدرى ما يريد ان يفعل .

وعقب سفرهم استولت عليه نشوة الشعور بالحرية .. انه الآن وحده فى داره يفعل ما يحلو له دون ان يخشى لوما من احد . وخطر له ان يقيم مادبة فى ذلك المساء يدعو اليها فيرجيل جانش وادى سوانسون . ولكنه الفاهما مدعوين الى مادبة اخرى .

فتناول عشاءه مع تيد وفيرونا . ولاذ بالصمت طول الوقت. وعقب العشاء خرج تيد واخته فجلس بابيت يمضى الوقت فى القراءة ولكن الكتب بدت فى نظره فجة سخيفة لا طعم لها . فطوى الكتاب وتناول سواه فوجده كسابقه . ولبث فى مقعده صامتـا يفكر فى لا شىء حتى رجع تيد وفيرونا من الخـارج فى منتصف الليل .

وذكر فى وحدته بول ريزلنج . رآه يخرج اليه من غمـرة الضباب وحول ذراعيه القيود الحديدية .. مخلوق شقى منكوب. ومن خلال الضباب برز اليه ايضا الشاعر شام فرنيك . ولكنه كان دميم الوجه منتفخ السحنة .. واوما اليه فرنيك باصبعه وقال :

ـ فى هذه الدنيا مجنون آخر يدعى جورج ف. بابيت يبيع البيوت المخربة ويقسم للناس انها جديدة حديثة البناء ..وهل تعرفون من انا ؟. انى شاعر شهير يعتقد الناس أن له قلبا من ذهب والواقع انى حمار لا افهم شيئا . بل لست افهم الالفاظ الجميلة التى احشرها فى الشعر ..

ونهض بابيت واسرع الى قاعة الطعام فملأ لنفسه قدحا من الخمر ثم رجع الى مقعده واجما .. فكر فى الحياة الشاقة التى امضاها .. فكر فى انه لم ينل الجزاء الذى يستحق الا اذا كان صحيحا ما يقوله الدكتور دودى من انه سيصيب الجزاء الاكبر فى العالم الاخر .. وما فائدة السعى فى سبيل المال ما دام هذا المال لا يحقق سعادة او هناء ؟. وما قيمة تربية الاطفال لكى يربوا فيما بعد اطفالا يربون بدورهم اطفالا ؟ حلقة مفرغة لا قيمة لها . فاين كل هذا وما الذى يبقيه من دنياه ؟

ـ نعم .. ما الذى يبقيه من دنياه .؟ المال .؟ المركز الاجتماعى؟

الخدم ؟ بيت جميل .؟ نعم .. انه يريد هذا .. ولكن ليس دائما ..

على انه كان يشعر فى هذه اللحظـــــة بانه انما يريد بول ريزلنج .

وتاقت نفسه الى فتاة احلامه .. ود لو يطير اليها ويترامى عند قدميها .

- ٢ -

فى صباح اليوم التالى نسى انه كان بالامس متمردا ثائرا . فامضى ساعات عمله فى مكتبه منهمكا فى اصدار التعليمات كالمعتاد .. ولما ذهب الى النادى أوما اليه سيدنى فينكلستين قائلا :

ـ لقد جاء المليونير !

وقال فيرجيل جانش :

ـ لم ار فى حياتى من هو اشد اناقة من بابيت !.

واخذوا يمازحونه فزعم احدهم انه شاهد بابيت يغازل عشر فتيات فى وقت واحد . واجاب بابيت على هذا المزاح بقوله .

ـ لا تبتئسوا يا أولاد .. سأعينكم كتبة فى مكتبى .

ولكن المزاج لم يطب له .. كان ملولا ضيق الصدر متبرما . وفى لهفة الى شىء لا يعرف له كنها .

- ٣ -

دعى بابيت الى تناول العشاء تلك الليلة عند آل سوانسون . وكان جو المأدبة مرحا ظريفا . واخذ ادى يسأله عن زوجته وعن اولاده . وامتعض بابيت لهذا السؤال اذ كان فى هذه اللحظة متبرما حتى بأسرته .

وفجأة راى بابيت فتاة احلامه تتمثل له على صورة لوتيا سوانسون .

والتفتت اليه لوتيا وقالت باسمة :

ـ اظنك الآن تكابد حياة شاقة بعد ان صرت أرملا .!

فضحك بابيت وقال :

ـ ارجوك ان تدسى المخدر يوما لزوجك فى شرابه وتسللى الى بيتى لنمضى سهرة سعيدة

فضحك ادى سوانسون وقال :

ـ من الآن فصاعدا لن اتناول شرابا من يد لوتيا الا اذا حللته تحليلا كيميائيا .

ولكن المزاح لم يفرج عن بابيت ما يشعر به من الاكتئاب .
ودعته لوتيا الى مراقصتها فقال :
ولكنى لا احسن الرقص .
ـ ساعلمك
وعندما شعر بجسمها الدافىء الفتى يلتصق بجسمه تبددت همومه تدريجيا وبدأت الحياة تطيب فى عينه . وبعد ان رقصت معه لوتيا ثلاثة أشواط اعتذرت عن الشوط الرابع قائلة :
ـ انى متعبة والجو حار .
فقال بابيت فى جرأة :
اذن هيا بنا نجلس فى الشرفة .
وفى ظلام الشرفة لمس يدها فى ضغطة خفيفة وقال :
ـ لقد رأيتك فى الحلم .
ـ اكان حلما جميلا ؟
ـ على غاية من الجمال .
فانبعثت واقفة حين اشتدت ضغطته على يدها وقالت :
ـ يجب ان أرجع الى القاعة لاحيى الضيوف .
ـ ابقى لحظة واحدة يا لوتيا .. أرجوك .
ـ آسفة .. لا استطيع
وبعد دقيقتين جعل يقول لنفسه فى خجل واستحياء :
ـ لا .. لا .. انى لم اكن اقصد مغازلتها .. نعم . بكل تأكيد لم اقصد مغازلتها !

الفصل الثالث والعشرون

ـ ١ ـ

نظر بابيت فى البطاقة وقرأ اسمها : « مسز دانيل جوديك » ولم يذكر انه سمع بهذا الاسم من قبل . وعندما استقبلها ألفاها فى نحو الاربعين من العمر . وانبأته انها تريد ان تستأجر مسكنا فى الضواحى .. وقالت :
ـ فهل يمكنك ان تساعدنى على العثور على المسكن المناسب ؟
واعجب بابيت بصوتها الموسيقى وتأنقها فى ثيابها . وقال :
ـ اذا اتسع وقتك الآن امكننى ان اقرجك على بعض المساكن .
ومالت اليه وهما فى السيارة وقالت :
ـ أوه .. انك تحسن القيادة !
واحب صوتها .. واحب ثناءها . وقال فى زهو وخيلاء :

ـ انى لست جبانا كاؤلئك الذين لا يسيرون الا بسرعة عشرة اميال اتحبين القيادة السريعة ؟
ـ طبعا .. طبعا .. لاسيما اذا كان القائد بارعا مثلك ..
انها رقيقة مهذبة تحسن اختيار الالفاظ وليست كلويتا سواسون التى تمزح فى وقاحة وجراة .
ونظر اليها بابيت وقال :
ـ اظنك تحسنين العزف على البيانو يا مسز جوديك ؟
ـ قليلا .. اتحب الموسيقى يا مستر بابيت ؟
ـ نعم . اذا عزفتها انامل جميلة
وهم بأن يقول « كاناملك » ولكنه لم يجسر
وقالت تساله :
ـ اتجيد الرقص يا مستر بابيت
ـ كلا .. انى لا ارقص الا قليلا
ـ انى على استعداد لان اعلمك الرقص .
فابتسم بابيت وقال :
ـ لا تكررى هذا الوعد والا اخذتك بكلمتك !
فضحكت وقالت :
ـ انى على استعداد للبر بوعدى .
ـ بودى لو امكننى ان اجيد الرقص كالشبان .
وفجاة قالت تساله :
ـ هل انت متزوج يا مستر بابيت ؟
فقال فى ارتباك وتلعثم :
ـ نعم .. ولدى فضلا عن هذا مشاغل كثيرة .. اننى وكيل نادى بوسترز وعضو فى نقابة السماسرة . وعضو فى النادى الرياضى .. وهذا كله معناه عمل كثير مرهق ومسئوليةجسمية . ومع ذلك فليس هناك من يشكرنى او يعترف بفضلى
فقالت مسز جوديك فى عطف وحنان :
ـ انى اعرف ذلك ! ان المشاهير لا ينالون عادة ما يستحقون من تقدير .
ونظرت اليه فى احترام .
المشاهير . ! ما اذكاها . ! لقد عرفت منذ اول لقاء جرئ بينهما انه من مشاهير الرجال . !
وعندما وقف معها فى المصعد واضطر ان يلتصق بها شملت بدنه الرعدة .
وبعد ان طافت مسز جوديك بالمسكن الجديد قالت له :

ـ ما أجمل هذا البيت . ! وما أسعدنى بأن أقابل شخصاً لبيبا مثلك يستطيع ان يفهم . ! لقد اطلعنى بعض السماسرة على بيوت لا تطاق . !

ولما خلا بابيت الى نفسه جعل يقول :

ـ ما اظرفها . ! ما اذكاها . ! ما اشد جاذبيتها . . وهى متطلعة متقعة . ! ما اغبانى . ! لماذا لم احاول أن . .

- ٢ -

لم يفكر جورج ف. بابيت فى فتاة أحلامه وحدها ولا فى لوثيا سوانسون ولا فى مسز جوديك وانما نسيهن جميعا وجعل يفكر فى فتاة المانيكور التى كان يراها كلما اختلف الى حانوت الحلاق .

وذهب الى حانوت الحلاق . .

وللمرة الاولى فى حياته عزم على أن يصقل أظافره .

وكانت الفتاة جميلة فتانة ويدها حلوه بضة . وكانت بلا نزاع اجمل من يد مسز جوديك ومن يد لوثيا سوانسون .

واستهل بابيت المغازلة بقوله :

ـ ان الجو حار الليلة وانت ترهقين نفسك بالعمل .

.. هذا صحيح .. يجب ان تصقل اظافرك دائما . انى اعتقد أن الاظافر « السارة » هى التى تدل على غنى الشخص ويساره .

هذا صحيح . !

ـ لا يغضبك قولى فانى لا اعمد الى الصراحة الا مع الرجال الظرفاء .

وابتسمت فى وجهه فابتسم بابيت فى بلاهة .

ثم قال فجاة :

ـ اظن ان هناك كثيرين يحاولون مغازلتك . ؟

فحملقت فى وجهه وقالت :

ـ ولكنى اعرف كيف الزمهم حدهم . .

ولكنها الزمته حده بطريقة فذة اذ لم تفرغ من صقل اظافره حتى كان بينهما موعد للقاء . !

- ٣ -

لم ير بابيت ضيرا فى أن يدعو الفتاة الى تناول العشاء معه . ولم لا . ؟ انها فتاة مسكينة من بيئة فقيرة ومن الرحمة أن يتيح

لها فرصة لمقابلة المشاهير . ولقد قالت مسز جودنك انه هو نفسه من اولئك المشاهير .

وساء سوء الحظ ان تصاب سيارته بعطب في تلك الليلة فاضطر ان يستاجر تاكسي . وما رأت فتاة المانيكور التاكسي حتى ابتدرته بقولها

ـ اوه .. كنت اظن ان لك سيارة خاصة . !

ـ ان لي سيارة طبعا .. ولكنها اصيبت بخلل الليلة ..

فلم تزد على ان ابتسمت اذ سمعت هذا القول مرارا من قبل .

وقصد بها بابيت الى مطعم في الضواحي . واكتفى طول الطريق بأن يقول انه لم ير فتاة أجمل منها . وسئمت الفتاة ترديد هذه الجملة .. فلما عاد يقول :

ـ انى لم أر ..

قاطعته بقولها :

ـ فتاة اجمل منك .. !

ولكنه كان اشجع واجرا اثناء العودة فقد طوقها بذراعه وحاول ان يقبلها فاسقط قبعتها على ارضية السيارة . واضطر ان ينتظر ريثما تتناول القبعة وتردها الى راسها وتصلح من وضعها .

وقال بابيت :

ـ امنحيني قبلة اخرى .

وكرهت منه ان يستاذنها حتى في تقبيلها . وقالت في ضجر :

اعطني سيجارة .

وظلت السيجارة بين شفتيها حتى بلغت دارها . وهناك قدمت اليه وجنتها ليقبلها . ولوحت له بيدها وقالت تودعه :

كانت ليلتنا هذه امتع سهرة تذوقتها في حياتي .

ولكن عندما ابتعدت السيارة تنهدت وقالت :

ـ يا الهي . ! يا لها من سهرة فظيعة . !

الفصل الرابع والعشرون

ـ ١ ـ

استيقظ بابيت في صباح اليوم التالي ناقما على نفسه متبرما بسلوكه من هذه الثورة ..؟ وما هذا التمرد ..؟ وما الداعي الى مغازلة النساء ؟ . لماذا لا يرتد كما كان مثالا للزوج الوفي الامين ؟ . وما هي الثمرة التي جناها ؟ . الخجل والعار .. الا يخجل حين

تعامله فتاة المانيكور ابدا بوتياك بالازدراء والاحتقار .؟

كلا .. لقد انتهى امره مع النساء .

ولكن تمرده ارتد اليه بعد ان امضى فى مكتبه بضع ساعات .. اذا كان رجاءه قد خاب فى لويتا سوانسون او ابدا بوتيـاك فليس معنى هذا ان النساء جميعا على هذه الشاكلة . من المحتمـل ان يوفق الى امراة اخرى تفهمه وتجعله سعيدا .

— ٢ —

رجعت مسز بابيت من رحلتها فى شهر اغسطس
كان من عادته ان يترقب يوم عودتها فى السنوات السابقة بفروغ صبر اما فى هذا العام فساءه ان تحضر واخذ يفكر فى الكيفيـة التى يظهر بها اغتباطه بعودتها دون ان يحس شيئا من الاغتباط .
ولما رآها تشق جموع المسافرين وهو فى انتظارها على المحطة اقبل عليها يصافحها ويقول لها :
ـ انك فى صحة جيدة
ثم حمل ابنته تينكا وقبلها
كان فى عينى تينكا معنى غريب ، كانت طفلته تنظر اليـه بعينين محبتين ، عينين تفيضان ثقة واخلاصا ، عينين تنطقان فى افصاح بانها تعتقد ان اباها هو اعظم رجل فى العالم ..
وفى اللحظة التى ضم فيها ابنته الى صدره ارتد ثانية كما كان بابيت رب الاسرة المحب العطوف .
ولكن ثورته عاودته بعد بضع ساعات ، فسئم الدار .

— ٣ —

وامضى بابيت عطلته السنوية على انفراد . فســافر الى شيكاغو وقضى فيها بضعة ايام ولكنه ما لبث ان ملهـا وتاقت نفسه الى السفر الى مين .
وذكر رحلته الماضية اليها مع صديقه بول ريزلنج . وامضته الذكريات وشق عليه ان يذهب فى غير رفقة الصديق العزيز الذى يمضى ايامه فى السجن .
وبعد تردد طويل صح عزمه على السفر الى مين . وقال فى نفســه :
ـ هناك استطيع ان انفض عن نفسى الهموم ..! اســتطيع ان اتذوق السعادة التى تذوقتها من قبل مع بول ... هنـاك

سأرى وجوها قديمة احبها .. وجوه الادلاء .. ووجه جو باراديس على الاخص .. ان هذا الدليل الكهل يحبنى حبا جما ... ولاشك انه سيرحب بى ويشنينى متاعبى

وما هبط بابيت القرية حتى اسرع الى كوخ الدليل جو بارادیس

وتفرس فيه الدليل طويلا وقال :

ــ يخيل الى انى رايتك من قبل

ــ نعم ، تقدكنت هناك العام الماضى ! اننى بابيت

ــ مستر بابيت ... لا اكتمك انى لا اذكر هذا الاسم . ان ذاكرتى ضعيفة .

ــ ٢ ــ

فى اليوم التالى خرج بابيت يتسلق الجبال وفى رفقته دليله جو ولكنه رجع من رحلته اشد اكتئابا مما كان : ماغشى مكانا الاطالعه وجه بول من وراء قضبان السجن .. بول صديقه العزيز سجين وهو هنا يمرح ويلهو .. على هذه الصخرة جلس مع بول فى العام الماضى .. وفى هذاالمكان .. نعم فى هذا المكان بالضبط وقفا يمضغان التبغ .. وهناك ..

وفى صباح اليوم التالى استقل بابيت القطار راجعا الى زينيت

الفصل الخامس والعشرون

ــ ١ ــ

فى القطار الى زينيت راى بابيت وجوهامالوفة يعرفها من قبل ، وكان من بينها وجه الاشتراكى سينيكا دون الذى رشح نفسه عمدة للمدينة فى العام الماضى فلم تسقطه الا حملات بابيت الانتخابية .

وتصافح الرجلان فى شىء من الفتور . وقال بابيت :

ــ يسرنى انى التقيت بك يا سينيكا . انك لم تنس طبعا اننا كنا زميلين فى المدرسة .

فابتسم الاشتراكى وقال :

ــ وهل تنسى عهود التلمذة الجميلة .. انى لا ازال اذكر انك كنت تقول ان فى نيتك ان تحترف المحاماة وتناضل الاغنياء دفاعا عن الفقراء والعمال ، واذكر انى انا نفسى كنت اتمنى ان اصبح

من كبار الاغنياء ولم اكن ابالي في ذلك العهد بالعمال .

فقـــال بابيت :

الواقع انى كنت دائما مناصرا للاراء الحـــره .. ان عيب الديموقراطيه الامريكيه انها تريد ان تقضي على حريه الراى .. لماذا لا نتيح لـــسوانا فرصة التعبير عما يرون ..؟

ـ راى صائب .

ـ انى ارى ضرورة تاييد حرية الراى . فان الجدل كفيـــل بان يهذب آرائنا ويزيل ما يعتورها من نقائض وعيوب .. ليس في هذه الدنيا مخلوق على حق .. لكل مسألة من المسائل ناحيتهـــا الخاطئة وناحيتها الصائبة . وتبادل الراى هو الكفيل بالوصـــول الى الثمرة الناضجه .

فهتف الاشتراكي دون قائلا :

ـ انك الرجل الذى احتاج الى مساعدته .. الم تـــسمع عن القس انجرام ..؟ الرجل الذى ينوى المجمع الكنائسى طـــرده وتجريده من القابه الكهنوتية ..؟

ـ لقد سمعت عنه طبعا .. اليس هو الرجل الذى يبشـــر بالاباحه والحب الحر ..؟

فذكر له سينيكا دون ان هذا هو الراى الشـــائع .. ولكن الحقيقة ان القس انجرام رجل مؤمن كريم القلب وكل ما هنالك انه حر الآراء ولا يؤمن بالتقاليد السخيفة فتقم عليه رجال الدين ونظموا ضده حملة قاسية .. وعقب سنيكا على ذلك بان رجا بابيت ان يتدخل بما له من نفوذ لحمل المجمع الكنائسى على عـــدم تجريده من لقبه . ووعده بابيت خيرا .

وظلا طول الرحلة يستعيدان ذكريات المدرسة .

وفي غمرة من الذكريات وما اثارت في نفس بابيت من رقـــة وحنان اسف لما اصاب زيلا وحزن من اجل بول ريزلنج واعتقد ان سينيكادون ليس شريرا كما يشيعون .

ـ ٢ ـ

لم يكد بابيت يهبط مدينة زينيث حتى قصد الى مســـكن زيلا وطلب مقابلتها . وتركته نصف ساعة ينتظر ثم دخلت عليـــه مقطبة الجبين وقالت في صوت جاف :

ـ اذا كنت .. جئت تحمل الى رسالة من بول فليرســـلها الى عن طريق المحامى .

ـ بل جئتك زائر .. جئتك بصفتي صديقا ! .

ـ لقد ابطات كثيرا في الحضور بصفتك صديقا ؟

ـ الواقع يا زبلا انى احجمت عن الحضور عقب الحادث اعتقادا منى انك ستكرهين ان ترى احد اصدقاء بول ..
ثم استطرد قائلا :
ـ اسمعى يا زبلا .. لقد اسفت جدا للحادث الذى وقع . وكذلك ندم بول اشد الندم عقب اطلاقه الرصاص .. واليوم قلت فى نفسى ان زبلا امراة كريمة القلب شديدة التسامح وستكتفى طبعا بما اصاب بول حتى اليوم . فهلا ترين انه يحسن بك ان تصفحي وان نلتمس من المحافظ العفو عنه .؟. كلا ...! اسمعى .. الا تريدين ان تكونى رحيمة .؟
فقالت زبلا فى برود :
ـ نعم اريد ان اكون رحيمة .. ومن الرحمة بالانسانية ان يظل بول فى السجن عبرة لامثاله من الاشرار .. اسمع يا جورج .. عندما كنت طريحة الفراش فى المستشفى جعل الاب فارسون يتردد على مرة او مرتين فى اليوم .. انك تعلم انى كنت فيما مضى ولوعه بالرقص والمسرات واللهو ولكن الاب فارسون افهمنى ان كل هذه المتعات اعراض زائلة فلا تبقى الا التقوى والايمان .. لقد ادنانى من عرش الرب واسمعنى صوته الحكيم ان يوم الدينونة قريب . وعندما ستلتقف النار اعداء الكنيسة والمنافقين الذين يؤمنون بالسنتهم ويلحدون بقلوبهم .
واسترسلت زبلا ربع ساعة كاملة فى القاء محاضرة دينية ملتهبة واختتمتها بقولها :
ـ فمن نعم الله الكبرى ان بول فى السجن . فعسى ان يكون فى هذا القصاص ما يردعه عن الشر وما ينقذ روحه الشقيه من الضلال .
ولما فرغت من حديثها قال بابيت :
ـ ولكن التسامح يازبلا هو روح الدين وعماده .. من ضربك على خدك الايسر فادر له الايمن .
ـ ولكن الدين لا يقر الجريمة .. ليتك تؤمن بالله كما اومن انا به .. فى الدين السلام والهدوء والهناء .. عندما اعتدى على بول انقذنى من الشر الذى كان يعتمل فى نفسى .. انها لحكمة الهية ان انتج الشر خير . اما بول فسيبقى فى السجن جزاء ما اقترفه .
ورفعت يديها الى السماء وقالت فى صوت يفيض جلالا وايمانا :

ـ اسالك يا الهى بحق ايمانى بك وبحق تقـواى وتدينى أن تصب على راس بول اشد الكوارث والنكبات
فانبعث بابيت واقفا وصاح قائلا :
ـ اذا كان هذا هو الايمان فليت شعرى كيف يكـــــون الملحـــــدون ؟

- ٣ -

رجع بابيت الى المدينة ، ورجع الى اصدقائه الذين سئمهم ؟ والى اسرته التى برم بها ، والى تذمره وزمجرته .
واقبل عليه تيـد يقـول :

ـ ابى .! انى لا اريد ان التحق بالجامعة . وانما اوثر عليها مدرسة الميكانيكيات .!

ـ ان لخريجى الجامعة يابنى مكانة لاتقاس اليها مكانةخريجى المدارس الاخرى .. فى الجامعة يمكنك ان تدرس القانون وفن الخطابة فلا تلبث أن تصبح من الشخصيات البارزة فى مدينتـك فتنتخب عضوا فى أحد الأندية الشـهيرة ثم وكيـلا للنـادى ثم رئيسـا ثم ..

واخذ بابيت يتدرج بابنه حتى جعله عضوا فى البرلمان ،وعرج من ذلك الى الاطناب فى مزايا الدراســات القـانونية ، وكيف ان المحامين مستقبلا باهرا . واخذ يسرد اسـماء بعض المحـامين المشهورين وكان اسم الاشتراكى سينيكادون من الاسـماء التى رددها . فقال تيد معترضا :

ـ سينيكادون ؟ ولكنى اذكر انك نعته يوما ما بانه غبى لايفهم شيئا .

ـ ابهذه اللهجة تتكلم عن مشاهير الرجال .! ان «دون» صديق قديم لى . وكان زميلا لى فى الدراسة .. الأنه يعطف على العمال يرمى بالجهل والغباوة .؟ حقا ان بلادنا فى حاجة الى التسامح وفى حاجة الى حرية الرأى .

وفى الاسبوع التالى جاء تيد الى ابيه مشرق الوجه وهو يقول:

ـ ابى .! قلت لى انه ينبغى ان أدخـل الجـامعة لافوز فى الانتخابات السياسية بعد تخرجى . فما رايك فى ان اشتغل عاملا فى المناجم .؟ لقد نجح مرشح العمال فى مقاطعة أوهيو وصارعضوا فى البرلمان ، مع انه لم يتخرج من الجامعة ! .

الفصل السادس والعشرون

- ١ -

أعلن العمال فى مدينة زينيث الاعتصام العام ، وطالبوا بزيادة اجورهم وانتظمت عاملات التليفون فى مظاهرة كبيرة اخترقت الشوارع والطرقات وقد حملن اعلاما كتب عليها :

« اجرنا اليومى دولاران »
« ايكفى الدولاران للطعام ؟ »
« اذا رايتم وجوهنا شاحبة »
« فاعلموا اننا نموت جوعا !. »

وحملت جميع صحف المدينة على المضربين عدا صحيفةواحدة ناصرتهم وايدتهم فى حركتهم . ودعى رجال الجيش الى تشتيت المظاهرات تحت امرة الكولونيل تيكسون . ولم يكن للمدينةحديث الا عن الاضراب . وانقسم الناس فريقين اما مستنكر للحركة واما محبذ لها .

واختار بابيت هذا الوقت لاعلان آرائه الحرة .

كان بابيت فى أول الامر من الناقمين على الاضراب . وكان يرى ان العلاج الوحيد هو شنق المحرضين الاشرار فى غير رحمة اوهوادة . وساءه ان يدافع صديقه سينيكادون عن المضربين الذين اعتقلهم البوليس ولكن عندما قرا الصحيفة التى ناصر العمال اقتنع بعدالة مطالبهم وقال :

ــ ان العمال فى حاجة الى الانصاف .

واعلن القس الدكتور جنسون دورى عزمه على القاء محاضرة موضوعها : « الدين ينهى الاضرابات » فعزم بابيت على حضور هذه العظة الدينية السياسية . وصحب الشاعر فرنيك الى قاعة الاجتماع .

واستهل القس عظته بقوله :

ــ لم يجن احد على العالم جناية اكبر مما جناه العلماء . . ينكر العلماء وجود الله ويقولون ان الدنيا انما خلقت عفوا ودون ان تدبر امرها يد حازمة قديرة . يزعم هؤلاء العلماء الجهلة ان الدنيا خلقت صدفة . وكانما لايكتفون بتسميم العقول بترهاتهم فجاءوا اليوم يريدون ان يفسدوا العلاقات بين الناس بايجاد انظمة لاتستقيم مع النظام الطبيعى الذى خلقه الله . . جاءوا اليوم يخلقون الاحتكار والمنافسة ونقابات العمال ونقابات اصحاب المصانع . . الى غيرذلك من الانظمة الاقتصادية الفاسدة هذه الانظمة التى تنذر بالويل الشديد .

ايها العلماء الذين لايفقهون فى العلم شيئا .. حطموا انظمتكم الاقتصادية وافسحوا المكان للدين . الدين وحده هو الكفيل بانقاذ البلاد . الدين يدعونا الى الحب والتسامح والصفح . وبهذه الخلال تسوى الخلافات ويقضى على أسباب المنازعات .

تصوروا مصنعا ترون فيه بدلا من نقابات العمال التى تناوىء المولين . ونقابات المولين التى تناوىء العمال .. اقول تصوروا بدلا من هذا مدير المصنع يطوف بين عماله ويبتسم لهم وهم يردون اليه إبتسامته بابتسامة أظرف وأحلى . اخ كبير يحنو على أخوته الصغار .. بهذه الاخوة تنتهى الاضرابات . وتفض المنازعات بين العمال واصحاب الاعمال ..

وما فرغ الدكتور دورى من اعلان راى الدين فى القضاء على الاضراب حتى غمغم بابيت قائلا :

ـ كلام فارغ .! سخافات .!

فقال شام فرنيك فى استغراب ؟

ـ ماذا تقول .؟

ـ انه لم يقل شيئا .. كلمات منمقة ولكن ليست لها اية قيمة عملية اولى به ان يكرس وقته لانقاذ الارواح بدلا من انقاذ العمال .

ونظر فرنيك الى بابيت فى دهشة وريبة .

ـ ٢ ـ

أعلن العمال عزمهم على القيام بمظاهرة سلمية . فقرر البوليس منعها وتشتيت المتظاهرين . وجلس بابيت فى النادى الرياضى يقول :

ـ ماهذه السياسة الخرقاء .؟ لماذا يشتت البوليس المظاهرة بالقوة مادامت سلمية لم يرتكب فيها اى عنف .؟ اليس للعمال الحق فى أن يسيروا فى الشوارع والطرقات ؟

فقال اورفيل جونز :

ـ اتريد ان يصبر عليهم حتى يرتكبوا أعمال العنف وينسفوا المصانع .

وصاح البروفسور بانفرى فى غضب :

ـ اتدافع عن أولئك الاوغاد الذين يطالبون بزيادة الاجور اى يطالبون بالاستيلاء على الخبز الذى نقدمه الى زوجاتنا وابنائنا !

أما فيرجيل جانش فاكتفى بان نظر الى بابيت فى احتقار .

وعندما هم بابيت بمغادرة النادى لمح شام فرنيك يتحدث الى جانش ولما مر بهما سمعه يقول :
ـ الحق انى لست ادرى مادهاه .. لقد ندد بالمحاضره التى القاها الدكتور دورى .
واستولى الخوف على بابيت .

- ٣ -

قال بابيت مخاطبا زوجته :
ـ فى هذه المدينة جماعة من المجانين يعتقدون ان العامل اذا اضرب اصلب شيطانا يحل قتله . وهذه الاعتصابات فى رايى راجعة الى غلظة اصحاب الاعمال . فلو انهم احسنوا معاملة عمالهم .. لو انهم شاطروهم الارباح التى يرجع الفضل فيها الى هؤلاء العمال لما وقعت الاعتصابات .
فقالت مسز بابيت فى شىء من الدهشة :
ـ عجبا .! كنت اظنك ياجورج ممن ينادون بضرورة القاء المضربين فى السجن .
ـ انا .! انى لم اقل شيئا من هذا القبيل .. او لعلى كنت اقصد بعض المضربين .. طبعا .. طبعا المحرضين غير المسئولين .. ولكن يجب ان يكون الانسان نصيرا لحرية الراى .
ـ يا الهى ..! حرية الراى .. الم تقل ان الاحرار هم شر المخلوقات .؟
ـ اوه .. بيا ..! ان المراة لاتستطيع ان تفهم ابدا مدلولات الالفاظ .! ان هؤلاء المضربين ليسوا اشرارا ولكنهم جهلة .. انهم لايفهمون اسرار الادارة والصعوبات التى يلاقيها اصحاب الاعمال . ولكن فى بعض الاحيان يخيل الى ان من الظلم ان نعامل العمال كانهم قطيع من الحيوانات . ان لهم حقا فى رفع اجورهم لايقل عن حقنا فى مضاعفة ارباحنا .
ـ جورج .. لو سمعك احد تتحدث بهذه اللهجة لحسبك اشتراكيا .
ـ فليكن .. وهل الاشتراكية عار .! اننى ..
فقاطعته مسز بابيت بقولها :
ـ انك متعب يابابيت . فاذهب الى فراشك ونم مبكرا .
ولما ارتمى على فراشه قال فى نفسه :
ـ بودى ان اذهب الى سينيكا دون لنتبادل الراى قليلا .. ولكن لنفرض ان فيرج جانش رآنى ادخل داره .!
ثم تنهد وقال :

ـ بودى أن التقى بامراة ذكية تفهمنى وتقدر آرائى وتنصت الى اذا ماافضيت اليها بما فى نفسى .. ومع ذلك فما يدرينى ان ميرا على حق هل من المستبعد أن يعتقد الناس انى اشتراكى اذا سمعونى ادافع عن العمال .؟

الفصل السابع والعشرون

ـ ١ ـ

اتصلت مسز جوديك تليفونيا بمستر جورج ف . بابيت وأنبأته ان سقف الدار التى استأجرتها فى حاجة الى شىء من الترميم . فقال :

ـ ساحضر بعد الظهر لافحص الامر بنفسى .

ـ شكرا لك .. واذا سمحت قدمت اليك قدحا من الشاى . وهذا واجب وانت تجشم مؤونة الحضور .

وقال بابيت فى نفسه :

ـ انها امراة مهذبة : « ساقدم اليك قدحا من الشاى لانك جشمت نفسك مؤونة الحضور » انها امراة تعرف كيف تقدر الرجال .!

وكانت مسز جوديك فى انتظاره وقد ارتدت ثوبا من الحرير الاسود ذا اكمام منقوشة يؤكد بسواده جمالها الناصع الفتان . ودار بابيت بعينيه فى الغرف وقال :

ـ لقد اثثت بيتك بما يدل على سلامة الذوق .

ـ هل اعجبك حقا .؟ انى سعيدة بذلك .! ولكنك اهملتنى اهمالا شنيعا . الم تعدنى بالحضور لاعلمك الرقص .؟

فقال فى ارتباك :

ـ كنت احسبك تمزحين .

ـ كان ينبغى أن تجرب !

ـ فليكن .. ها انذا موجود الان فلنبدأ الدرس الاول .؟

وضحك الاثنان بطريقة تدل على انه لايعنى مايقول .

وقدمت اليه قدح الشاى .. ثم كأسا من الويسكى . واخذا يتبادلان الحديث . او بعبارة أخرى اخذ بابيت يتحدث وهى تصغى اليه .. كانت كلها آذانا صاغية .. كانت مرهفة السمع حتى الى السخافات التى يلقيها .. حدثها عن آرائه فى الاشتراكية وضرورة انصاف العمال فأمنت على كلامه وحدثها عن مقدرته الخطابية الفذة فقالت ان الناس جميعا يطرون مقدرته وانها قرأت

بجميع خطبه واعجبت بها (وان كانت فى الواقع لم تقرأ خطبة واحدة منها) .. وحدثها عن متاعبه المنزلية فرثت لحاله وربتت فى رفق على يده وتعلق وجهها بالعطف والحنان ..

حدثها عن مطامعه ومطامحه فقالت انه رجل عظيم . وحين قال انه يرجو ان يصبح عمدة للمدينة قالت ولم لا تكون عضوا فى البرلمان ولك كل هذه المواهب الفذة .؟
وشعر بابيت بأنه ازاء امرأة تفهمه .. وتقدره .!
وامتد بهما الحديث ساعات طويلة . وبدأ المطر يتساقط . وعصفت الريح . واشعلت تانيس جيدوك المدفأة الكهربائية .. وبدت الغرفة فى نظر بابيت دافئة .. انيقة .. مريحة .. تبعث الاطمئنان فى النفس .
واستولت عليه نشوة جارفة بددت من قلبه كل اثر للخوف أو الشك أو التردد .
وعندما غادر مخدعها بعد منتصف الليل بساعات شعر بأنه أسعد رجل فى العالم .

- ٢ -

لم يستطع بابيت ان ينسى تانيس جيدوك .
كان راسه محشوا بالذكريات . وكانت ذراعاه تتلهفان اليها . كان يتحرق شوقا الى ضمها الى صدره .
وقال فى نفسه :
- لقد وجدتها ! . حلمت بها كل هذه الاعوام الطوال . والان عثرت عليها .
فى الصباح يلتقيان ويذهبان الى دور السينما معا غير مبال بعمله أو مكتبه . وفى المساء يلتقيان مرة اخرى فيتناولان العشاء فى احد المطاعم ثم يذهبان معا الى دارها . وتتابعت ايامهما حافلة بأجمل الذكريات والضحكات .

وذهب بها الى ملهى للانزلاق على الجليد .. وانزلقت تانيس فوق الجليد فى رشاقة ومرح وكانت ضحكاتها اللطيفة تدوى فى اذنيه .. ان ميرا بابيت لم تنزلق مرة فى حياتها .!

على انه كان يخشى ان ترى فى رفقته فيبلغ النبأ زوجته .. اعتادت زوجته أن ترى فيه مثالا للزوج الوفى الامين . فهل يخيب رجاءها الان .
وجعل يقارن بين رشاقة تانيس وترهل زوجته .. بين حنان

تانيس وبين وجوم هذه المراة وكلماتها المضطردة الخالية من الحرارة والحماسة .
وقالت له زوجته :
ـ جاءنى اليوم خطاب من اختى بانها مريضة فيحسن بى ان اسافر لامضى اسبوعين او ثلاثة معها .
واغتبط بابيت بسفر زوجته . وفى الوقت ذاته حاول ان يبدى اسفه لفراقها .
ووقف يودعها على المحطة . وعندما ابتعد القطار وتوارى عن الانظار تراءت له صورة تانيس . كانت باسطة اليه ذراعيها تدعوه اليها . تدعوه الى احضانها .!
وهز بابيت راسه وقال فى عزم واصرار .
ـ كلا .. كلا .. لن اذهب اليها .! لن اذهب اليها الا بعد اسبوع على الاقل .!
ولكنه ذهب اليها فى الساعة الرابعة .!

-٣-

التقى جورج ف . بابيت باصدقاء تانيس .. وشرب الويسكى الردىء .. وضج كما يضجون .. وعربد كما يعربدون .. وفى كل يوم كان يقول فى نفسه :
ـ يجب ان اهجرها .! نعم ساهجرها .!
ولكنه لم يقو على ان يحبس نفسه عنها ليلة واحدة
كان اغلب اصدقائها من الشبان .. كانوا فى مثل سن ابنه تيد . ولكنه مع ذلك لم يتحرج من الاندماج فيهم ..
وكان معروضا ان يرقص .. فرقص . وكان مفروضا ان يردد النكات المبتذلة .. فرددها .
كان سعيدا بهذه الجماعة الجديدة .. كان سعيدا بهؤلاء الاصدقاء . ولكن فى بعض الاحيان يخالجه الضجر فيتمنى لو انه لم يعرفهم .
وكانت هناك فتاة تدعى كارى من بين صديقات تانيس .. وكانت فتاة رشيقة طريفة . ورقصت مع بابيت ثلاث مرات . واحس من شبابها الغض شبابا يسرى فى بدنه . فلم يملك ان قبل خصلات شعرها .
وراته تانيس فغضبت .
وعندما رجع بابيت الى داره فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل احس فراغا كبيرا .. طابت له حياته الجديدة وكره من بيته سكونه وهدوءه الذى يشبه هدوء القبور .

وفى الليلة التالية دعى بابيت الى حفلة ساهرة اقيمت فى بيت كارى .

وارتدت تانيس الثوب الاسود الذى رآه عليها فى اول مقابلة جرت بينهما ، ففتنه جمالها وندم على تودده الى كارى فى الليلة الماضية .

وفى اليوم التالى ابتاع بابيت رباط عنق زاهية اللون لتخفى عليه من الشباب ماخسره بتقدمه فى السن . كان يعرف ان الكهولةدبت فى أوصاله . وان من المستحيل أن يرتد شابا يافعا كأصدقائها .. ولكنه تماسك وتغافل عن بدانته وكرشه . فرقص كما يرقصون ولبس كما يلبسون وتحدث كما يتحدثون ، ليبدو فتيا مثلها ، او مثل ماتحاول ان تتظاهر به .

– ٤ –

جاء دوبلبرو الى زيارة بابيت وقال له :

ـ سأقيم غدا حفلة ساهرة فلم لاتحضرها .؟

وكان بابيت يمقت جاره دوبلبرو ويعده من الرعاع ويندد بسلوكه وسلوك زوجته وبتلك الحفلات التى يقيمها ويقدم فيها الخمر المهربة الى مدعويه . كان يعتبر ان دوبلبرو نكبة علىالاخلاق والفضيلة ، ولكنه فى تلك الليلة لبى دعوته عن طيبة خاطر .

وبمساعدة تانيس وكارى ودوبلبرو وغيرهم من رفقاء السوء لم يكن بابيت ليرجع الى داره الا قبيل الفجر . مترنحا ورائحة الخمر تفوح من فمه .. واذا ماوجد فيرونا وصاحبها سكوت جالسين فى قاعة الاستقبال اسرع بالصعود الى مخدعه حتى لاتراه ابنته على هذه الحال .

واذا ماأخذ حماما ساخنا وتبدد اثر الخمر من راسه بدايدرك حقيقة الموقف . عجبا ! . اكان ينتظر احدا أن يحل يوم أقدم فيه على هذه الفعال .؟ أنا الرجل الفاضل القويم الاخلاق اسكرواعربد واخالط الشبان الايفاع .؟ انا اردد اسخف الكلمات واغنى اقبح الاغانى ؛ واحاول ان اقبل الفتيات .! كلا .. كلا .. لقد انتهى كل شيء ومحال أن اذهب مرة اخرى الى هذه المرأة .!

وفى الصباح نخور عزمه الى حد ما .. وعند الظهر يخالجه التردد .. وفى المساء يذهب من جديد . !

واستصحب بابيت صاحبته تانيس الى احد المطاعم الفخمة وتناولا العشاء هناك .. وشاء سوء الحظ ان يذهب فرجيل جانش الى هذا المطعم فى تلك الليلة .. ورأى العشيقين ،

وبعد ثلاثة أيام جاء فيرج يزور بابيت وقال له :

ـ مارأيك ياصاح .! لقد اتفقنا على انشاء جمعية باسم « جمعية الرجال الاخيار » اعضاؤها خريجو الجامعات الامريكيون الذين تطوعوا فى الحرب الماضية . ومن أغراضها محاربة جميع النزعات الخطرة والاراء الحرة المفسدة للعقول وتقوية روح الفضيلة وحث الناس على التشبث بالعقيدة الدينية .. فهل تحب ان تنضم الينا ..؟

فهز بابيت راسه وقال :

ـ هذه مسالة تحتاج الى تفكير ..

ـ تحتاج الى تفكير ! . عهدى بك ولوعا بالانتصار للفضيلة .

ـ نعم . ولكن ..

فقال جانش فى صوت صارم :

ـ لست أدرى ما الذى دهاك يا جورج .. ولكنى استغرب كيف ذهبت منذ ايام الى المطعم وفى رفقتك هذه المراة ..! وكيف تدافع عن العمال وزعيمهم المحرض الشرير سينيكادون .. وكيف تؤيد القس الملحد الدكتور انجرام .. ولقد حدثنى البروفسور بانفرى انه رآك منذ ايام فى رفقة نفر من الشبان وهم يعربدون ويسكرون . فماذا دهاك ياجورج ..!

فقال بابيت :

ـ يظهر ان هنا كقوما يعرفون من شئونى اكثر مما اعرف .

ـ لاتغضب ياجورج .. انك تعلم مبلغ صداقتى لك . ولهذا آثرت أن أكاشفك بما فى نفسى بدلا من أتكلم فى غيبتك كما يفعل الاخرون .. لقد كونت لنفسك ياجورج مكانة فى الهيئة الاجتماعية فانت مطالب بصيانة هذه المكانة والارتفاع بنفسك بدلا من الانحدار بها الى الدرك الأسفل .

وانصرف فيرجيل جانش .

وفى ذلك المساء تناول بابيت عشاءه منفردا . وظل طول الوقت خائفا قلقا . وقال فى نفسه :

ـ لن أذهب الليلة الى تانيس .. نعم . لن اذهب اليها ..!

ولم يذهب اليها .. الا فى ساعة متأخرة ..!

الفصل الثامن والعشرون

ـ ١ ـ

بعد أربعة اسابيع رجعت مسز بابيت من زيارة أختها المريضة . وحملت الى زوجها علبة سجائر من الذهب هدية له . وقالت وهى تقدمها اليه :

ـ امسرور انت بعودتى ..؟
ـ طبعـا .
ـ يلوح لى انك لم تشعر بغيبتى .؟
ولعله لم يشعر حقا بغيبتها . ولكنه الان وقد رأى فى وجهها دلائل العطف والحنان شعر بما يجذبه اليها .
وانقطع بابيت اسبوعا كاملا عن زيارة تانيس . ونسى وقته للعناية بزوجته فجعل يرافقها الى المسرح والى السينما . وزار معها اسرة ليتل فيلد . ولكن تانيس لم تشأ أن تنساه وان كان هو قد نسيها .
اتصلت به تلفونيا . وكتبت اليه . ودعته الى لقائها . ولكنه اصم اذنيه عن النداء .

- ٢ -

قالت مسز بابيت لزوجها :
ـ الا ترى ياجورج انه يحسن بك ان تقلع عن التدخين ؟
ـ بودى ان افعل ذلك .
ـ ويحسن بك ايضا ان تقنع بأطعمة خفيفة فان معدتك متعبة وكذلك يجب ان تكف عن الخمر .
فصاح بابيت فى امتعاض :
ـ معدتى متعبة !.. اظن ان فى وسعى ان احتسى خمسين كاسا دون ان انتشى .
ـ انى اخشى ان ينزل بك المرض نتيجة لافراطك .
ـ نتيجة لافراطى ..؟ انى لست طفلا ..! اتسمينه افراطا وانا لااتناول الا كئوسا قليلة ..! هذا عيب النساء .. دائمامولعات بالمبالغة .
ـ ماذا دهاك ياجورج .! اتخاطبنى بهذه اللهجة وانا لااتحرى الا صالحك .!
ـ صالحى .؟ وهل تحسبيننى طفلا قاصر .؟
ـ اتغضب وانا أحاول ان أصون صحتك .؟
ـ لاشأن لك بصحتى .. دعينى افعل مايحلو لى .. لقد كرهت هذه الحياة المضطردة .. من المنزل الى المكتب ومن المكتب الى المنزل .
فقاطعته بقولها :
ـ وانا ؟.. اليست حياتى مضطردة مملة مثل حياتك ؟ .. فى اليوم الواحد اعد ثلاث وجبات .. وفى العام ٣٦٥ يوما ..!

وانى اعنى بحياكة ثياب الاولاد . انسق البيت ! . اشرف على الغسيل . . ارفو الجوارب . . اذهب الى السوق . . كل شىء اتولاه بنفسى . . أليست هذه ايضا حياة مملة ! .
فقال زوجها فى شىء من الدهشة :
ـ ولكن في وسعك ان تقومى ببعض الزيارات فتنفسى عن صدرك .
ـ وهل ينفس عن صدرى ان ارى نفس الاصدقاء الذين اراهم منذ عشرات السنين .؟ أما انت فيجب أن تكون سعيدا مغتبطا وانت ترى فى كل يوم وجوها جديدة . . وجوه عملائك الذين يترددون يوميا على مكتبك .
ـ ان هؤلاء العملاء ثقلاء سخفاء .
ـ جورج . . لا تزعق فى بهذا الشكل ! .
ـ انى لاازعق فيك .
وانبعث جورج بابيت واقفا وغادر البيت وهو يصخب لاعنا .

- ٣ -

مرت ثلاثة ايام وجورج ف . بابيت لا يوجه الى زوجته كلمة واحدة .
وفى الليلة الرابعة ذهب الى زيارة تانيس جيدوك . ولم يعد الى بيته الا قبيل الفجر والخمر تفوح من فمه . .
وقالت زوجته وهى راقدة فى فراشها :
ـ هل امضيت وقتا سعيدا . .؟
ـ بل وقتا منكودا ! اهناك استجواب آخر ؟
ـ ما الذى دهاك ياجورج . . كيف تخاطبنى بهذه اللهجة !
ـ اخاطبك بهذه اللهجة لانك تقحمين نفسك فى شئونى . . اكنت تريدين منى ان امضى السهرة كلها هنا احدق فى وجهك الدميم . . ؟
ولاذت مسز بابيت بالصمت ولم تقل شيئا .

- ٤ -

فى صباح اليوم التالى لم تغادر مسز بابيت فراشها اذ شعرت بالم حاد فى جنبها .
وقال بابيت : اتحبين ان ادعو الطبيب .؟
ـ لاداعى لذلك . . اضطراب هضمى فيما أعتقد .
ـ ولكن الالم اشتد عليها فى المساء ودعى الطبيب الى فحصها

فكتب لها مسكنا . وعادها الطبيب فى الصباح . ثم رجع بعد ساعتين ومعه طبيب آخر وفحصاها معا . ثم تحدثا الى بابيت قائلين :

ـ ان زوجتك مصابة بالتهاب الزائدة الدودية .. ولابد من اجراء عملية جراحية لها فى الحال .. وسنأمر بنقلها الى المستشفى

وشعر بابيت بالخوف يملأ نفسه وانقبض قلبه .

وامسك بيد زوجته فى رفق وقال :

ـ لقد راى الطبيب ياعزيزتى ان يجرى لك عملية جراحية .. وسيكون الامر هينا جدا .. لن تستغرق العملية اكثر من دقائق قليلة .

وقالت مسز بابيت فى صوت مرتعد :

ـ ابق الى جانبى ياعزيزى .. انى خائفة .

وجثا بابيت الى جوار الفراش .. ووضعت زوجته يدها على راسه وتخللت شعره باصابعها الضعيفة .

وبكى بابيت وقبل اطراف ثوبها . وغمغم يقول :

ـ لشد ماأحبك .! انى احبك اكثر من اى شىء آخر فى العالم صرفنى عنك العمل والهموم والمسئوليات .. ولكن كل شىء قد انتهى الآن . ورجعت اليك من جديد .

ـ حقا .. لقد كنت افكر ياجورج منذ قليل ان من الخير ان انتهى .. كنت اتمنى ان اموت .. كنت اشعر بان ليس هناك من يحتاج الى او يريدنى . وقلت لنفسى : مافائدة الحياة .! لقد أصبحت عجوزا دميمة .

فغمغم بابيت فى صوت متهدج قائلا :

ـ يالك من بلهاء ..! يالك من بلهاء .!

وقبل يدها وبللها بعبراته المتساقطة .

وفى الوقت الذى اجريت فيه العملية الجراحية لمسز بابيت كان زوجها يتمشى فى البهو خارج قاعة العمليات وهو يرسل بصره الى السماء من لحظة لاخرى ويغمغم قائلا :

ـ رب انقذها .! رب انقذها .!

واستجيب الدعاء .. ونجت مسز بابيت من الموت .!

ونجا مستر جورج ف . بابيت من الدمار .! ورجع الى اسرته .!

« تمت »

هيئة قناة السويس

تحليل حركة الملاحة فى القناة

اكتوبر سنة ١٩٦٢

الحركة الملاحية :

سجلت السفن العابرة بقناة السويس خلال شهر اكتوبر ١٩٦٢ رقما قياسيا جديدا لم تحققه من قبل حيث بلغ المتوسط اليومى ٨ر٥٤ سفينة ، وكان الرقم القياسى السابق ٤ر٥٢ سفينة يوميا فى ابريل ١٩٦١ ، ٣ر٥٣ سفينة يوميا فى نوفمبر ١٩٥٨ .

وقد بلغ عدد السفن التى عبرت القناة خلال شهر اكتوبر سنة ١٩٦٢ — ١٦٩٨ سفينة مجموع حمولتها الصافية ١٨١٨٥٤٥٣ طنا مقابل ١٥٦٧ سفينة حمولتها الصافية ١٥٩٥٨٨٤٧ طنا ومتوسط يومى قدره ٥ر٥٠ سفينة فى اكتوبر سنة ١٩٦١ .

وبلغ عدد السفن العابرة من الشمال الى الجنوب خلال شهر اكتوبر سنة ١٩٦٢ — ٨٥٢ سفينة مقابل ٧٨١ سفينة فى اكتوبر سنة ١٩٦١ بزيادة قدرها ٧١ سفينة ، وذلك نتيجة لزيادة عدد السفن الفارغة بمقدار ٩٢ سفينة « ٤٥٧ مقابل ٣٦٥ » بينما نقص عدد السفن المحملة بمقدار ٢١ سفينة « ٣٩٥ مقابل ٤١٦ » .

اما السفن التى عبرت القناة من الجنوب الى الشمال فزادت ايضا بمقدار ٦٠ سفينة حيث بلغت خلال اكتوبر ١٩٦٢ — ٨٤٦ سفينة مقابل ٧٨٦ سفينة فى اكتوبر سنة ١٩٦١ ، ويرجع هذا الى زيادة عدد السفن المحملة بمقدار ٦٠ سفينة « ٨٠١ مقابل ٧٤١ » بينما لم يحدث اى تغيير فى السفن الفارغة .



الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شارع عبيد . روض الفرج
تليفون ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤



52
ba
Bibliotheca Alexandrina
05540422

العدد ٢٠٩ الثمن ٤ قر